www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

دورالعقیده

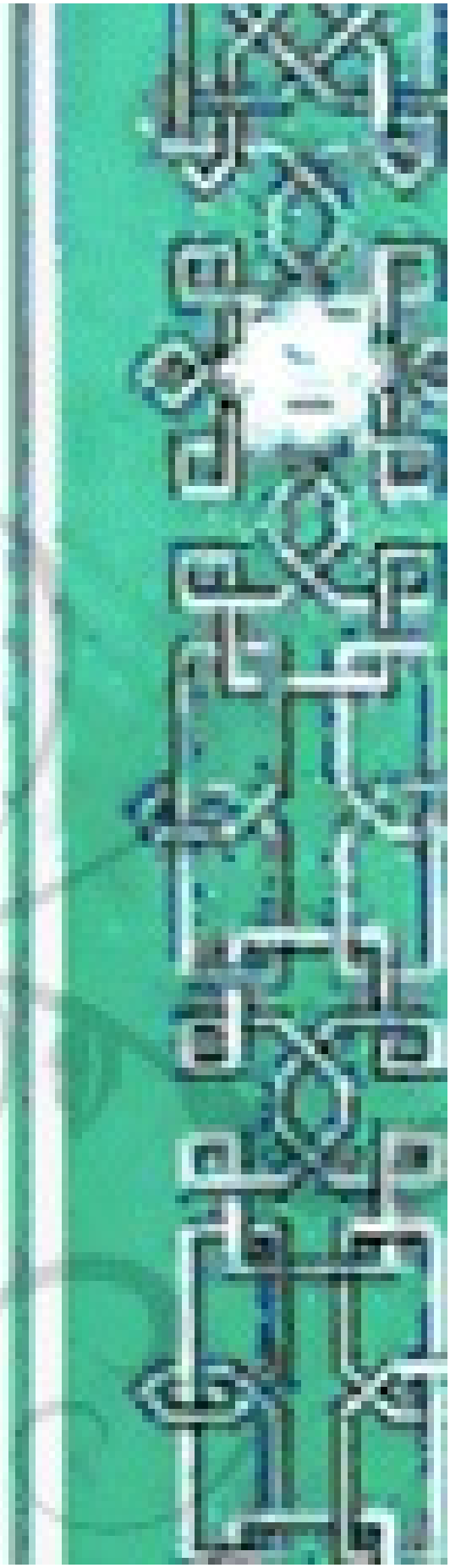

بسم الله الرحمن الرحيم

دور العقيده فى بناآ الانسان

كاتب:

مركز الرساله

نشرت فى الطباعة:

مركزالرسالة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دور العقیده فی بناآ الانسان ----- ۸
اشارة ----- ۸
مقدمة المرکز ----- ۸
المقدمة [المولف] ----- ۹
[توضیح] ----- ۹
ومما ینبغی التر کیز علیه فی هذا الإطار : ----- ۱۰
[فصول الکتاب] ----- ۱۱
الفصل الأول البناء الفکری ----- ۱۱
المبحث الأول : تحریر فکر الإنسان . ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
الخطیئة أمر طارئ ----- ۱۲
الإنسان موجود مکرم ----- ۱۲
معالم التحریر ----- ۱۳
المبحث الثانی : بناء فکر الإنسان . ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
تحریر العقل : ----- ۱۸
توجیه طاقة العقل ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
أولا : التدبر فی آیات الله تعالی فی الآفاق وفی الأنفس : ----- ۱۹
ثانیا : النظر فی سنن التاریخ : ----- ۲۱
ثالثا : النظر فی حکمة التشریع : ----- ۲۳
رابعا : توجیه العقل إلی النظر ، والتثبت فی الرأی ، واستقلالیة التفکیر والقرار : ----- ۲۴

خامسا : توجیه الإنسان إلی کسب العلم والمعرفة : ----- ۲۵
[توضیح] ----- ۲۵
العلم و الإیمان : ----- ۲۶
الفصل الثانی البناء الاجتماعی والتربوی ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
أسالیب تنمیة الشعور الاجتماعی : ----- ۲۸
[اولا] ----- ۲۹
ثانیا : تغییر نظم الروابط الاجتماعیة ----- ۳۲
ثالثا : الحث علی التعاون والتعارف ----- ۳۴
رابعا : تغییر العادات والتقالید الجاهلیة ----- ۳۶
الفصل الثالث البناء النفسی ----- ۳۷
[تمهید] ----- ۳۷
أولا : طمأنینة النفس : ----- ۳۷
[تمهید] ----- ۳۷
أسالیب العقیدة فی مواجهة المصائب : ----- ۳۸
ثانیا : تحریر النفس من المخاوف : ----- ۴۰
[توضیح] ----- ۴۰
الموت تحفة ! ----- ۴۰
الزرق مضمون لطالبه : ----- ۴۲
ثالثا : معرفة النفس ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
دور العقیدة فی تعریف الإنسان بنفسه : ----- ۴۶
رابعا : السیطرة علی النفس ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷

الخوف والرجاء : ---- ۴۸
الفصل الرابع البناء الأخلاقی ---- ۴۹
[تمهید] ---- ۴۹
أساليب العقيدة فی بناء الإنسان أخلاقيا : ---- ۵۰
[توضيح] ---- ۵۰
أولا : تحديد العقيدة للمعطيات الأخروية للأخلاق : ---- ۵۰
ثانيا : بيان العقيدة للمعطيات الدنيوية للأخلاق : ---- ۵۱
ثالثا : تقديم التوصيات والنصائح : ---- ۵۲
رابعا : أسلوب الأسوة الحسنة : ---- ۵۲
الخلاصة ---- ۵۶
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۵۷

دور العقيده فى بناآ الانسان

اشارة

عنوان و نام پديدآور : دور العقيده فى بناآ الانسان
مشخصات نشر : قم مرکز الرساله ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶.
مشخصات ظاهرى : ص ۱۰۰
فروست : (سلسله المعارف الاسلاميه ۱۱)
شابک : ۹۶۴-۳۱۹-۱۰۰-۱۱۸۰۰ریال
يادداشت : عربى
يادداشت : کتابنامه به‌صورت زيرنويس
موضوع : شيعه -- عقايد
موضوع : اخلاق اسلامى
رده بندى کنگره : BP۲۱۱/۵/د۹۲ ۱۳۷۶
رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۱۷۲
شماره کتابشناسى ملى : م۷۷-۶۱۴۴

مقدمة المرکز

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد المصطفى الأمين وآله الطيبين الطاهرين ، وبعد :
إن نظرة الإنسان إلى الحياة والكون ومفاهيمه فى شتى المجالات بل وحتى عواطفه وأحاسيسه كلها تدور حول محور العقيدة التى يتبناها ، والتى تسهم فى بنائه الفكرى والأخلاقى والاجتماعى ، وتوجيه طاقاته نحو البناء والتغيير .
وإذا كانت المدارس الوضعية قد حققت بعض النجاح فى ميادين الحضارة المادية ، فقد أثبتت فشلها الذريع فى تلبية حاجة الفرد لحياة كريمة حرة من قيود الابتذال والفجور ، فكان التفسخ الأخلاقى والانحدار الخلقى والتفكك الأسرى والفراغ العقائدى ، هو أبرز معطيات الحضارة المادية التى صنعها الإنسان على صعيد الحياة الفكرية والشخصية والاجتماعية .
ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الإنسان إلى الجذور والأصول التى يستقى منها معارفه وينهل منها حقائق هذا الوجود ليصل من خلالها إلى المعتقدات الصحيحة السليمة من الشوائب والبعيدة عن الانحراف بعد أن منحه تعالى الفطرة الصافية مشعلا يهديه إلى النور ، نور العقيدة الإسلامية الحقة الذى أضاء بسناه ما حوله .
ومتى ما حكم الإنسان عقله يرى أن العقيدة الإسلامية تشكل نظاما متكاملا ـ للحياة البشرية بمختلف أطوارها ويرسم الطريق لكل جوانبها وينسجم مع الفطرة الإنسانية ويضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق ، وبما يضمن كرامته وشخصيته .
وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية ، شخصية الفرد والمجتمع والدولة الإسلامية ، وتنتظم العلائق والروابط ، وتتحدد الحقوق والواجبات ، وتتحقق العدالة والمساواة ، ويستتب الأمن والسلام ، وينشأ التكافل والتضامن ،

وتزدهر الفضائل والمكارم ، ويبنى الإنسان على كافة الأصعدة .

فعلى الصعيد الفكرى أخرجت العقيدة الإسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل لتأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور ، محفزة الطاقات الكامنة فيه للتأمل والاعتبار بآيات الله ودلائله ، وبذلك فقد نبذت التقليد فى الاعتقاد وربطت بين العلم والإيمان .

وعلى الصعيد الاجتماعى استطاعت العقيدة الإسلامية أن تسمو بالروابط الاجتماعية من أسس العصبية القبلية واللون والمال إلى دعائم معنوية تتمثل بالتقوى والفضيلة والأخاء الإنسانى ، فشكل المسلمون خير أمة أخرجت للناس بعد أن كانوا جماعات متفرقة متناحرة .

وعلى الصعيد الأخلاقى نجحت العقيدة الإسلامية فى تنمية الواعز الذاتى القائم على أساس الإيمان برقابة الخالق جل وعلا لكل حركات الإنسان وسكناته وما يستتبع ذلك من ثواب وعقاب ، الأمر الذى أدى إلى تعديل الغرائز وتنمية شجرة الأخلاق الفاضلة وجعلها عنصرا مشتركا فى جميع الأحكام الإسلامية .

كما أسهمت العقيدة الإسلامية فى بناء المجتمع اقتصاديا وسياسيا وتربويا ، وبذلك فهى تمثل عنصر القوة فى تاريخ الحضارة الإسلامية .

فلأجل النهوض بالإنسان المسلم من حالة الضعف الروحى والانزلاق فى مهاوى المادية ومغرياتها ، لا بد من تذكيره بمعطيات تلك العقيدة ، وترسيخ قناعته بقوتها وصلاحيتها لكل العصور بلغة معاصرة ، وبشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث ، والتحليل الفكرى .

وإصدارنا هذا يوضح لك هذه الحقائق بشكل جلى معتمدا البحث والتحليل الفكرى بأسلوب سهل ممتع وعرض علمى قويم يبتعد بالأفكار عن مهاوى الانحراف وأوهام الخيال ، ويقودها إلى الحقائق الناصعة والأدلة الساطعة .

فلله الشكر على ما أنعم وله الحمد على ما وفق وهو المستعان

مركز الرسالة

‹ صفحه ۷ ›

المقدمة [المولف]

[توضيح]

أكثر ما يهم الإنسان فى الحياة هو أن يعرف حقيقة مبدئه ومعاده ، والغاية من وجوده ، ومن أين جاء ، وإلى أين ينتهى ، ولماذا وجد ؟ هذه الأسئلة التى يطرحها الإنسان على نفسه على الدوام ، تحتاج إلى إجابات شافية ، لكى يتخذ الإنسان على ضوئها موقفا من الحياة ، يحدد سلوكه ، ويقيم لمجتمعه نظاما صالحا يرتضيه .

ولقد فشلت العقائد الوضعية فى الإجابة على استفهامات الإنسان المتعلقة بمبدئه ومعاده ، ومبرر وجوده ، مرة من خلال الادعاء بأن الإنسان وجد صدفة ! ومرة أخرى من خلال الزعم بأنه وجد نتيجة لتطور المادة ! ! . . وما إلى ذلك من تفسيرات واهية لا تسمن ولا تغنى من جوع الإنسان وتعطشه الأبدى لمعرفة الحقيقة .

وليس هذا فحسب ، بل فشلت أيضا فى رسم معالم النظام الاجتماعى الذى يصلح الإنسان ويحقق سعادته .

وبينما أجابت العقائد الدينية المحرفة إجابات باهتة ومشوهة ، عندما أقرت من حيث المبدأ بوجود الخالق ولكن شبهته بخلقه ، كما فشلت فى تحديد النظام الأصلح للبشرية ، أجابت العقيدة الإسلامية عن كل ذلك بمنتهى الصدق والعمق ، عندما أعلنت أن للإنسان خالقا حكيما قادرا

‹ صفحه ۸ ›

لاـ ينـال بـالحواس ولاـ يقـاس بالنـاس ، وأن الإنسـان وجـد لغايـة ساميـة وهى عبـادة الله تعالى والوصول من خلالها إلى أرفع درجات التكامل والخلود .

كمـا تولـد هـذه العقيـدة أيضا عواطف وأحاسـيس خيرة ، يتبنى الإسـلام بثها وتنميتها من أجل بناء الإنسان الكامل فى الأبعاد الفكرية والاجتماعيـة والسـلوكية ، وتكـوين الشخصـية العقائديـة الـتى تتمتع بعقليـة هادفـة وسـلوك قويم ، واتجـاه رسـالى ، على العكس من الشخصـية اللا منتمية ، التى تنصب اهتماماتها جميعا على الذات ومصالحها ورغائبها ، فتعانى من الفراغ العقلى والتأزم النفسـى وفقدان الهدفية فى الحياة .

وينبغى الإشـارة هنـا إلى أن العقيـدة الإسـلامية ليست كعقيـدة الفلاسـفة – باعتبارها نظريـة فكريـة تقبع فى زوايا الـدماغ – بل هى قوة تتحرك فى القلب وتنعكس إيجابيـا على النفس والجوارح ، فينـدفع معتنقهـا إلى ميـادين الجهاد والعمل ، وعليه فقـد كانت قوة فاعلة ومحركـة ، غيرت مجرى التاريـخ ، وبـدلت معالم الحضارة ، وأحدثت فى حياة الإنسان الاجتماعية والفكرية انقلابات رائعة ، وحققت انتصارات عسـكرية مشـهودة ، ولـذلك وجـدنا القلة المستضـعفة العزلاء فى مكة ، اسـتطاعت بعقيدتها أن تصـمد ثلاثة عشـر عاما فى مواجهة طغيان كالطوفان .

وهـذه العقيـدة هى التى جنـدت للرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) جيشا عـدته عشـرة آلاف ، وهو الـذى خرج من مكة مسـتخفيا يطارده كفارها ، ولم يسـتطع الذين حاربوه طوال هذه المدة أن يصـمدوا أمام قوة الإيمان الزاحفة ، فاستسلموا له ، وأتوا إليه مذعنين ، أو دفعوا إليه الجزية صاغرين .

كان المسلمون يملكون أقوى عدد النصر ، وهى العقيدة التى تصنع

‹ صفحه ۹ ›

المعجزات ، التى جعلت من حمزة – سيد الشـهداء – يقود أول سـرية فى الإسلام فى ثلاثين راكبا مسلما ، لمواجهة ثلاثمئة راكب من قريش على ساحل البحر الأحمر ، ولم تخرج السـرية المسلمة لمجرد استعراض العضلات ، بل كانت جادة فى المواجهة والاشتباك مع عدو تبلغ قوته عشرة أضعاف قوتها .

ولم يحدث فى تاريخ معارك الإسـلام ، التى كان يحرز فيها انتصارات باهرة ومتوالية ، أن كانت قوة المسلمين المادية متكافئة مع قوة العدو ، بل كانت قوة المسـلمين من حيث العدد والعدة تصل أحيانا إلى خمس قوة العدو ، ولم يتحقق النصر إلا باعتمادهم على المدد المعنوى الهائل الـذى تمنحه العقيـدة للمقاتل المسـلم مع عدم إغفال دور الامداد الغيبى المتواصل ، وبعض العوامل والشـروط المادية الأخرى .

وهكذا نجد أن العقيدة هى القوة الأساسية فى كل معارك الإسلام ، والعامل الأساس فى تحقيق النصر فى مختلف المجالات .

وبغية النهوض الحضارى بالفرد المسـلم ، لا بد من تذكيره بالمعطيات الحضارية التى منحتها العقيدة الإسلامية لمن سبقه من المسلمين ، صحيح أن المسلم لم يتخل كليا عن عقيدته ، ولكن عقيدته قد تجردت فى قلبه من فاعليتها ، وفقدت فى سلوكه إشعاعها الاجتماعى ، بفعـل عوامـل الغزو الفكرى التى تعرض ويتعرض لهـا باسـتمرار ، وبفعـل عوامـل الانحطاط والتخلف التى عصـفت بمجتمعه كنتيجة مباشرة لابتعاده عن قيم وتعاليم السماء .

ومما ينبغى التركيز عليه فى هذا الإطار :

‹ صفحه ۱۰ ›

أولا : تعريف الإنسان المسلم بعقيدته الحقة عن طريق منابع المعرفة الصافية .

وثانيا : ترسيخ قناعته بصوابها وصلاحيتها للعصر الراهن ، وإبراز عناصر تفوقها على العقائد الأخرى .

وثالثا : العمل على إعادة دور العقيدة فى بناء الإنسان المسلم ، لتتجسد فى فكره إيمانا عميقا ، وفى سلوكه عملا صالحا وأخلاقا حميدة ، كما كانت تتفاعل عطاء وجهادا فى نفوس المؤمنين السابقين ومن تبعهم بإحسان .

ولأجل هذه الغاية ، عقدنا هذا البحث الذى يتناول دور العقيدة فى بناء الإنسان الفكرى والاجتماعى والنفسى ، وانعكاساتها على أخلاق المسلمين وسلوكهم ، كما سلطنا الضوء فيه على الدور الكبير الذى قامت به مدرسة آل البيت (عليهم السلام) من أجل صيانة العقيدة ، والتصدى الحازم لمحاولات تسطيح الوعى التى تعرض لها الإنسان المسلم فى أدوار سياسية متتابعة .

ولا بد من الإشارة إلى أننا اتبعنا فى هذا البحث " المنهج النقلى " واعتمدنا - أساسا - على المصادر والمراجع التراثية .

ومن الله نستمد العون والتوفيق .

---

(۱) الإسراء ۱۷ : ۷۰ .

(۲) البقرة ۲ : ۳۰ .

(۳) الأعراف ۷ : ۱۷۶ .

[فصول الكتاب]

الفصل الأول البناء الفكرى

المبحث الأول : تحرير فكر الإنسان .

اشارة

ترتكز نظرة العقيدة الإسلامية على كون الإنسان موجودا مكرما :

* (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) * (۱) .

فهو خليفة الله فى الأرض ، يمتلك العوامل التى تؤهله للسمو والارتفاع إلى مراتب عالية : * (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال (إنى أعلم ما لا تعلمون) * (۲) . كما أن بإمكان الإنسان أن ينحط ويتسافل حتى يصل إلى مرتبة الحيوانية : * (. . . أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . .) * (۳) .

ثم يتسافل أكثر فأكثر حتى يصل إلى مرتبة الجماد : * (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة . .) * (۱) .

وعليه فالعقيدة الإسلامية تراعى فى الإنسان عوامل القوة والضعف معا ، فقد وصف الإنسان فى الكتاب الكريم بأنه خلق ضعيفا هلوعا عجولا ، وأنه يطغى ، وأنه كان ظلوما جهولا (۲) .

وعلى هذا الأساس لا تحاول الشريعة إرهاقه بتكاليف شاقة ، تفوق طاقاته وقدراته النفسية والبدنية ، قال تعالى : * (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . .) * (۳) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (رفع عن أمتى تسعة : الخطأ ، والنسيان ، وما أكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا إليه ، والحسد ، والطيرة ، والتفكر فى الوسوسة فى الخلق ما لم ينطق بشفة) (۴) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن

الصبى حتى يحتلم) (۵) .

فالعقيدة الإسلامية – إذن – تعتبر عوامل الضعف فى الإنسان حالة طبيعية ناتجة عن تكوينه البشرى ، ولم ترها معقدة بالمستوى الذى يفقد الإنسان معها قدرته على البناء والحركة ، وحرية الاختيار .

---

(۱) البقرة ۲ : ۷۴ .

(۲) راجع سورة النساء ۴ : ۲۸ ، والمعارج ۷۰ : ۱۹ ، والأحزاب ۳۳ : ۷۲ ، والأنبياء ۲۱ : ۳۷ ، والعلق ۹۶ : ۶ .

(۳) البقرة ۲ : ۲۸۶ .

(۴) الخصال ، للصدوق : ۴۱۷ باب التسعة – منشورات جماعة المدرسين – قم .

(۵) كنز العمال ، للمتقى الهندى ۴ : ۲۳۳ مؤسسة الرسالة ط ۵ .

‹ صفحه ۱۳ ›

وفوق ذلك حاولت العقيدة – وهى تريد بناء الإنسان وتكامله – أن تثير لديه شعورا عميقا بالجانب الإيجابى من وجوده .

الخطيئة أمر طارئ

من ناحية أخرى فإن العقيدة الإسلامية تعتبر الخطيئة أمرا طارئا على الإنسان ، وليس ذاتيا أصيلا ، وعليه فحين يسقط الإنسان فى مهاوى الخطيئة ، فإنه لا يتحول إلى شيطان تمنعه شيطنته من العودة إلى رحاب الإنسانية ، بل يبقى إنسانا مخطئا يمكن أن يسعى إلى تصحيح خطئه ، والنهوض من كبوته .

وهذا هو سر عظمة النظرة الإسلامية إلى الإنسان ، فهى لا تجعله تحت رحمة الشعور بخطيئة أصيلة مفروضة عليه ، كما تفعل النصرانية ، بل هى تسعى إلى انتشال الإنسان من وحل الخطيئة ، وإشعاره بقدرته على الارتقاء ، وتذكيره الدائم بعفو الله ورحمته الواسعة ، وعدم اليأس منها .

ولا يوجد فى الإسلام " كرسى للاعتراف " كما هو الحال فى النصرانية ، بل يسعى أئمة الدين وعلماؤه إلى ستر عيوب الناس وذنوبهم مهما أمكن ذلك ، لأن الله تعالى يحب الستر .

عن الأصبغ بن نباتة قال : أتى رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى زنيت فطهرنى ، فأعرض أمير المؤمنين (عليه السلام) بوجهه عنه ، ثم قال له : (اجلس ، فأقبل على (عليه السلام) على القوم ، فقال : أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه ؟ ! . .) (۱) .

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ۴ : ۲۱ / ۳۱ باب فيما يجب به التعزير والحد ، دار صعب طبع ۱۴۰۱ ه.

‹ صفحه ۱۴ ›

الإنسان موجود مكرم

ومن جانب آخر تحاول العقيدة إشعار الإنسان – على الدوام – بأنه موجود مكرم ، له موقعه المهم فى هذا الكون ، من خلال وظيفة الاستخلاف فيه وما عليه إلا أن يقوم بأداء وظيفة الاستخلاف هذه على أحسن وجه ، وأن يشكر خالقه على هذا التكريم والتمكين والهداية إلى الدين الحق .

سأل رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حبه للقاء الله تعالى ، فقال : بماذا أحببت لقاءه ؟ قال (عليه السلام) : (لما رأيته قد اختار لى دين ملائكته ورسله وأنبيائه ، علمت أن الذى أكرمنى بهذا ليس ينسانى ، فأحببت لقاءه) (۱) .

معالم التحرير

ولقد أسهمت العقيدة إسهاما فعالا فى تحرير الإنسان على محاور عدة ، منها :

أولا : - حررت الإنسان من الاستبداد السياسى ، فليس فى الإسلام استبداد إنسان بآخر ، أو تسخير طبقة أو قومية لأخرى (فقد كان الدين ، على امتداد التأريخ الإسلامى ، من أبرز العوامل لظهور حركات التحرر .

ومهما تكن نظرة الباحث تجاه الدين فلا يستطيع إبعاد العامل الدينى وأثره فى بناء الوعى الثورى خلال هذه الفترة من تأريخ الاسلام .

فلم تكن ثورة أبى ذر (رحمه الله) وثورة الحسين (عليه السلام) إلا منطلقا لاتجاه واع لتصحيح الانحراف فى تأريخ الإسلام . ورغم كل الانحراف الذى تعرض

---

(۱) كتاب الخصال : ۳۳ باب الاثنين - منشورات جماعة المدرسين - قم .

له المسلمون على امتداد تأريخهم الطويل لم ينعدم فى فترة من هذا التأريخ اتجاه ثورى قوى فى إعادة الإسلام إلى مجارى الحياة والقضاء على الظلم والاستغلال واستعادة حقوق الإنسان المسلم وكرامته) (۱) .

كما حررت العقيدة الاسلامية الإنسان من عادة " تأليه البشر ، " كعبادة الملوك والأسر الحاكمة ، وهى عادة كانت سائدة عند بعض الأمم القديمة كالمصريين القدماء ، وقد أبطل الإسلام نظريات التمييز بين إنسان وآخر ، سواء على أساس الجنس أو اللغة أو اللون أو المال أو القوة ، ومقياس التفاضل ينحصر فى أمور معنوية هى التقوى والفضيلة ، قال تعالى : * (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) * (۲) .

إن الإسلام يحتل الأسبقية بإعلان مبدأ الحرية قبل الثورة الفرنسية بأكثر من عشرة قرون .

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى خطبة له : (أيها الناس إن آدم لم يلد عبدا ولا أمة ، وإن الناس كلهم أحرار . .) (۳) .

إلا أن الإسلام لم يجعل هذه الحرية الممنوحة للإنسان مطلقة ، بحيث يطلق العنان للإنسان ليفعل ما يشاء ، بل جعل للحرية ضوابط وكوابح حتى لا تؤدى إلى فوضى .

ومن هنا يبرز الفرق الشاسع بين العقيدة الإسلامية التى تربط الحرية

---

(۱) دور الدين فى حياة الإنسان ، للشيخ الآصفى : ۵۰ - دار التعارف ط ۲ .

(۲) الحجرات ۴۹ : ۱۳ .

(۳) فروع الكافى ۸ : ۶۹ - دار صعب ط ۳ .

الإنسانية بالعبودية لله تعالى والخضوع الواعى والطوعى لسلطته ، وبين القوانين الوضعية التى تلقى بالإنسان فى تيه لا يتفق مع قدرته ولا مع طبيعته .

ومن هنا لا بد من توازن بين الحرية والعبودية ، وليس هناك توازن فى هذا السبيل يطلق قدرات الإنسان ، ويحافظ على طبيعته فى آن واحد ، إلا بما نجده فى الإسلام ، عبودية لله ، وحرية من سائر العبوديات ، فلا تكتمل حرية العبد إلا بعبوديته لله . . ولا تكتمل عبوديته

لله إلاـ بتحرره من عبادة سواه ، فهنا توازن واتساق واضح بين الجانب الاجتماعى والجانب الإيمانى فى شخصية المسلم عن طريق الحرية كما يراها الإسلام (۱) .

وعلى ضوء ما تقدم ، فالعقيدة تقرر حقيقة أساسية هى أن جوهر الحرية الحقيقية ، هو العبودية لله ، لأنها تعنى التحرر من جميع السلطات الجائرة ، وليس فى العبودية لله أى امتهان لكرامة الإنسان ، بل هى على العكس من ذلك تعزز شخصيته وتحافظ على مكانته ، فقد كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يتشرف بكونه عبدا لله ، ويحب أن يطلقوا عليه صفة " العبودية " ويرفض الغلو الذى قد يؤدى إلى التأليه الباطل ، كما حصل لأهل الكتاب على الرغم من التحذير الإلهى لهم من الغلو فى أشخاص رسلهم ، قال تعالى : * (يأهل الكتاب لاـ تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم

---

(۱) معالم شخصية المسلم ، للدكتور يحيى فرغل : ۷۹ - ۸۰ ، منشورات المكتبة العصرية - طبعة عام ۱۳۹۹ ه.

‹ صفحه ۱۷ ›

وروح منه . .) * (۱) .

إن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تحارب فكرة تأليه البشر من خلال التركيز على صفة العبودية أحيانا . . قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : (أنا عبد الله وأخو رسوله) (۲) .

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) : (بالعبودية لله أفتخر) (۳) . على أن فكرة تأليه البشر كانت سائدة فى الأمم الأخرى ، وتسربت إلى أتباع الأديان السماوية فخالطت عقائد بعضهم ، فالمسيحية - على سبيل المثال - تدعى إلوهية المسيح ، واليهودية تزعم أن عزيرا ابن الله ! ومن هنا تبرز حكمة وبعد نظر الإمام على (عليه السلام) فى تركيزه على صفة العبودية ووقوفه بالمرصاد لكل دعوات الغلو التى نسبته إلى الربوبية ، جاء فى الحديث : (أنه أتى قوم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام فقالوا : السلام عليك يا ربنا ! فاستتابهم ، فلم يتوبوا ، فحفر لهم حفيرة ، وأوقد فيها نارا وحفر حفيرة إلى جانبها أخرى ، وأفضى بينهما ، فلما لم يتوبوا ، ألقاهم فى الحفيرة ، وأوقد فى الحفيرة الأخرى حتى ماتوا) (۴) .

وفى هذا الصدد قال (عليه السلام) : (هلك فى رجلان : محب غال ، مبغض قال) (۵) .

ثانيا : حررت العقيدة الإسلامية الإنسان المسلم من شهوات نفسه

---

(۱) النساء ۴ : ۱۷۱ .

(۲) كنز العمال ۱۳ : ح ۳۶۴۱۰ .

(۳) بحار الأنوار ۴۹ : ۱۲۹ .

(۴) وسائل الشيعة ۱۸ : ۵۵۲ . دار إحياء التراث العربى ط ۵ .

(۵) نهج البلاغة ، ضبط صبحى الصالح ، ۵۵۸ / حكم ۴۶۹ .

‹ صفحه ۱۸ ›

بعدما ربطت قلبه بالله والدار الآخرة ، ولم تربطه بأهوائه ونزواته ، لقد زودت العقيدة عقل المسلم وإرادته بالحصانة الواقية من الانحراف أو إيثار العاجل الفانى على الآجل الباقى ، والنفس - فى توجهات آل البيت (عليهم السلام) - هى منطقة الخطر ، لذلك تصدرت أولى اهتماماتهم .

ومن هنا نجد أن حديث النفس وضرورة السيطرة عليها يحتل مساحة كبيرة من أقوال وحكم ومواعظ أمير المؤمنين (عليه السلام) ،

فلم يترك مناسبة إلا واغتنمها فى الحديث عن النفس لكونها قطب الرحى فى عملية بناء الإنسان .

لقد أخبرنا الذكر الحكيم : * (. . بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) * (۱) ولذلك فإن ما يلفت نظر الباحث أن الإمام عليا (عليه السلام) - أيام حكومته العادلة - كان يوصى عماله على الأقاليم وكبار قادته بالسيطرة على النفس ، على الرغم من انتقائه الدقيق لهم ، وكون أكثرهم من ذوى الفضائل العالية والسجايا الحميدة ، فمن كتاب له (عليه السلام) للأشتر لما ولاه مصر : (هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الأشتر . . . أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته . . . وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات . . . فإن النفس أمارة بالسوء ، إلا ما رحم الله . . . فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية) (۲) .

ومن وصية له لشريح بن هانئ أحد قادته العسكريين ، لما جعله على

---

(۱) الأنفال ۸ : ۵۳ .

(۲) نهج البلاغة ، لصبحى الصالح : ۴۲۷ .

‹ صفحه ۱۹ ›

مقدمة جيشه إلى الشام : (. . . واعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب ، مخافة مكروه ، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر ، فكن لنفسك مانعا رادعا . . .) (۱) .

ومن كتاب له (عليه السلام) كان قد وجهه إلى معاوية ، كشف له فيه عن سر تمرده على القيادة الشرعية ، المتمثل فى انحرافاته النفسية ، فقال له : (فإن نفسك قد أولجتك شرا ، وأقحمتك غيا ، وأوردتك المهالك ، وأوعرت عليك المسالك) (۲) .

فالانحراف النفسى له عواقب جسيمة ، وخاصة من الذين يتصدون لدفة القيادة بدون شرعية وجدارة .

وكان أهل البيت (عليهم السلام) مع عصمتهم المعروفة يطلبون من الله تعالى العون على أنفسهم ، تعليما وتهذيبا لغيرهم ، ومما جاء من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) : (. . . وأوهن قوتنا عما يسخطك علينا ، ولا تخل فى ذلك بين نفوسنا واختيارها ، فإنها مختارة للباطل إلا ما وفقت ، أمارة بالسوء إلا ما رحمت) (۳) .

ونستنتج من كل ذلك ، أنه لا يتم بناء الإنسان إلا بالسيطرة على النفس وهو ما سيأتى الحديث عنه .

ثالثا : إن العقيدة الإسلامية حررت الإنسان من عبادة الطبيعة ومن تقديس ظواهرها ، ومن الخوف منها ، يقول تعالى : * (ومن آياته الليل

---

(۱) نهج البلاغة : ۴۴۷ .

(۲) نهج البلاغة : ۳۹۰ .

)

۳) فى ظلال الصحيفة السجادية ، للشيخ مغنية : ۱۰۰ - دار التعارف للمطبوعات ط ۲ .

‹ صفحه ۲۰ ›

والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . . .) * (۱) .

لقد مر الإنسان بمرحلة الحيرة والتساؤل والقلق من مظاهر الطبيعة من حوله ، فهو لا يعرف شيئا من أسرارها وأسباب تقلب أحوالها ، فأخذ يقدسها ويقدم لها القرابين بسخاء ، متصورا أنه سوف يأمن بذلك من ثورات براكينها الملتهبة وزلازلها المدمرة وسيولها الجارفة وصواعقها المحرقة ، فعملت العقيدة على تنقية العقول من غواشيها ، وفتحت الطريق أمامها واسعا لاستثمار الطبيعة والتسالم معها ،

عنـدما رفعت ما كان من حجب كثيفـة بين الإنسان والطبيعـة ، وانكشف له بأن الطبيعة ومظاهرها وما فيها من مخلوقات وحوادث كلها صـادرة عن الله تعـالى ، وهى مخلوقـات مسـخرة لخـدمته ، ومـا عليه إلاـ أن ينتفع بها ويتفكر فيها وبأصـلها حتى يصل عن طريقها إلى الخـالق : * (أفلاـ ينظرون إلى الإبـل كيـف خلقت * وإلى السـماء كيـف رفعت * وإلى الجبـال كيف نصـبت * وإلى الأـرض كيف سطحت) * (۲) .

ولا بـد من الإشارة إلى أن منهج العقيدة فى بناء الإنسان " منهج شـمولى " ينظم علاقة الإنسان بنفسه وبربه وبالطبيعة من حوله ، وكل توثيق أو تطور فى العلاقة بين الإنسان وربه فسوف ينعكس إيجابيا على علاقته مع الطبيعة المسـخرة بيد الله تعالى ، فتجود على الإنسان المؤمن بـالخير والعطاء ، لـذلك طلب النبى " هود (" عليه السـلام) من قومه – الـذين ابتعـدوا عن منهـج السـماء فحبس عنهم المطر ثلاث سنين وكادوا يهلكون – أن يستغفروا

---

(۱) فصلت ۴۱ : ۳۷ .

(۲) الغاشية ۸۸ : ۱۷ – ۲۰ .

‹ صفحه ۲۱ ›

ربهم عمـا سـلف من ذنـوبهم ، وأن يتوبوا إليه بتصـحيح مسـيرتهم وتنظيم علاقـاتهم مع الله تعـالى ، وحينئـذ سوف تنتظم علاـقتهم مع الطبيعـة فتجود بالمطر والخير ، قال لهم : * (يا قوم اسـتغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السـماء عليكم مـدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) * (۱) .

وعليه فالعبادة الحقة ، يجب أن تكون لله وحده ، والخوف يجب أن يكون من الذنوب ، التى تثير سـخط الله وتجلب انتقامه ، فيستخدم الطبيعـة أداة للعقوبـة ، كمـا أغرق الله فرعون بـأليم ، وأرسل الريـح العقيم التى أهلكت قوم عاد ، وهكـذا نجـد أن أكثر العقوبات التى حلت بالكافرين قـد نفـذت بواسـطة قوى الطبيعـة ، مما يكشف لنا العلاقـة الترابطية بين الإنسان والطبيعة ، وفى هذا الصدد يقول الإمام البـاقر (عليه السـلام) : (وجـدنا فى كتاب رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) . . إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمـار والمعـادن كلها) (۲) . ويقول ولـده الإمـام الصـادق (عليه السـلام) : (إذا فشـا الزنـا ظهرت الزلاـزل ، وإذا أمسـكت الزكاة هلكت الماشية ، وإذا جار الحكام فى القضاء أمسك القطر من السماء . .) (۳) .

وجملة القول أن الخوف الإنسانى يجب أن يتركز على الذنوب والخطايا التى تسبب تدمير المجتمعات ورفع البركات ، أما الخوف من الطبيعة والاعتقاد بأن بعض ظواهرها شرور لا تجتمع مع النظام السائد على العالم أولا وحكمته وعدله ثانيا ، فإنما هو ناشئ من نظراتهم الضيقة

---

(۱) هود ۱۱ : ۵۲ .

(۲) أصول الكافى ۲ : ۳۷۴ / ۲ كتاب الإيمان والكفر – دار صعب ط ۴ .

(۳) الخصال ، للشيخ الصدوق ۱ – ۲ : ۲۴۲ / باب الأربعة – منشورات جماعة المدرسين عام ۱۴۰۳ ه

‹ صفحه ۲۲ ›

المحـدودة إلى هذه الأمور ، ولو نظروا إلى هذه الحوادث فى إطار النظام الكونى العام لأذعنوا بأنها خير برمتها ، فللوهلة الأولى تتجلى تلـك الحوادث شـرا وبليـة ، ولكن المتعمق بهـا يرى أنها مـدعاة إلى الخير والصـلاح ، وأنها تكتسـى لباس الحكمـة والعـدل والنظم ، وتفصـيل فلسـفة البلايا والشـرور فى العالم موكول إلى علم الكلام ، ولكن فيما يتعلق ببحثنا نعود ونؤكد بأن العقيدة الإسلامية أعادت صياغة عقل الإنسان تجاه الطبيعة المحيطة به ، بشكل يجعله أكثر حرية وتفاعلا وتسالما معها .

رابعا : تحرير الإنسان من الأساطير ومن الخرافة فى الاعتقاد أو السلوك ، من أجل رفع الحواجز الوهمية التى تحول دون استخدام طاقة العقل على نحو سليم ، وكان الإنسان الجاهلى على سبيل المثال يتفاءل ويتشائم بحركات الطير ، فينطلق نحو العمل إذا اتجه الطير يمينا ، ويتراجع عن العمل إذا اتجه الطير شمالا ، وكانت طبقة الكهان والمنجمين تحتل موقع الصدارة فى السلم الاجتماعى وتخدع الناس بادعائها علم الغيب ، وكان التطير يقيد الناس بحبال الوهم عن السعى والسفر ، وكذا كان الاستقسام بالأزلام ، إذ يأخذ من قصد عملا - ثلاثة سهام - ، يكتب على أحدها " : إفعل " وعلى الآخر " : لا تفعل " ويترك الثالث هملا ، ويمد يده ليأخذ أحدها ، فإن خرج الأول أقبل على عمله ، وإن أصاب الثانى توقف ، وإن خرج الثالث أعاد الكرة ! وكان السحر متفشيا بين الناس ينذر بشر مستطير ، فعملت العقيدة على محاربة هذه المظاهر ، وكانت سببا لتفتح العقول والسمو بالنفوس ، وإخراج الناس من ظلمات الوهم والخرافة إلى نور العلم والحقيقة . .

قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ليس منا من تطير ولا من تطير له ، أو تكهن

‹ صفحه ۲۳

أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له) (۱) ، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا : (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) (۲) .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) قال : (الطيرة على ما تجعلها ، إن هونتها تهونت ، وإن شددتها تشددت ، وإن لم تجعلها شيئا لم يكن شيئا) (۳) .

من جانب آخر حررت العقيدة عقل المسلم من استنتاجات المنجم ، فاعتبرت المنجم كالكاهن ، كلاهما يسعيان إلى تقييد حركة الإنسان فى الحياة والتلبيس على عقله . .

عن عبد الملك بن أعين ، قال : قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) : إنى قد ابتليت بهذا العلم - ويقصد التنجيم - فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت طالع الشر جلست ولم أذهب ، وإذا رأيت طالع الخير ذهبت فى الحاجة ؟ فقال لى : (تقضى ؟ قلت : نعم . قال (عليه السلام) : أحرق كتبك) (۴) .

ولا بد من التنويه إلى أن مدرسة آل البيت (عليهم السلام) الإلهية لا تعيب على النجوم كعلم طبيعى يتطلع الإنسان من خلاله على معالم السماء التى تظله ليصل من خلال ذلك إلى عظمة الخالق ، ولكن تعيب على البعض ادعاءه التوصل من خلالها إلى علم الغيب .

ومن الشواهد ذات الدلالة لسعى آل البيت (عليهم السلام) على تحرير الإنسان المسلم من عادة التنجيم المستحكمة التى امتدت إلى عصور متأخرة ،

---

(۱) كنز العمال ۱۰ : ۱۱۳ .

(۲) كنز العمال ۱۰ : ۱۱۳ .

(۳) وسائل الشيعة ۸ : ۲۶۲ .

(۴) وسائل الشيعة ۸ : ۲۶۸ .

‹ صفحه ۲۴

ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، وقد قيل له : إن سرت يا أمير المؤمنين فى هذا الوقت ، خشيت ألا تظفر بمرادك ، من طريق علم النجوم .

فقال (عليه السلام) : (أتزعم أنك تهدى إلى الساعة التى من سار فيها صرف عنه السوء ؟ وتخوف من الساعة التى من سار فيها حاق به الضر ؟ فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن ، واستغنى عن الاستعانة بالله فى نيل المحبوب ودفع المكروه . . ثم أقبل (عليه السلام) على الناس فقال : أيها الناس ، إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به فى بر أو بحر - إلى أن قال لهم - سيروا على اسم الله) (۱) .

---

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۱۰۵ .

‹ صفحه ۲۵ ›

المبحث الثانى : بناء فكر الإنسان .

اشارة

للعقل مكانة كبيرة فى الدين الإسلامى ، فهو أصل فى التوصل إلى الاعتقاد الصحيح ، وهو دليل من أدلة الاجتهاد ، قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (. . ولكل شئ دعامة ، ودعامة الدين العقل) (۱) .

ومن جانب آخر يشكل العقل دعامة الإنسان المؤمن ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من كان له عقل كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة) (۲) .

وقد بلغت النصوص التى تتناول التنبيه إلى دور العقل المئات ، ومن خلال نظرة عامة إلى هذه النصوص نكتشف أن مشروع الإسلام فى إعطاء العقل دوره الحقيقى قد جاء على مرحلتين ، فهو يبتدئ بتحرير العقل ، ثم ينتقل إلى توجيه طاقاته .

تحرير العقل :

هذه الخطوة الأولى من خطوات المشروع الإسلامى المذكور نكتشفها فى النصوص التى توجهت إلى نبذ القيود التى تقيد العقل وتمد من نشاطه الحقيقى ، وتقوده إلى أخطاء خطيرة بسبب ذلك . . وهذا ما نجده فى نموذجين بارزين :

الأول : نبذ التقليد الأعمى :

وأمثلته فى القرآن الكريم كثيرة جدا ، نقرؤها فى سور متعددة ومشاهد متعددة :

---

(۱) المحجة البيضاء ، المحقق الكاشانى ۱ : ۱۷۲ كتاب العلم مؤسسة الأعلمى ط ۲ .

(۲) أصول الكافى ۱ : ۱۱ كتاب العقل والجهل .

(۱) الزخرف ۴۳ : ۲۲ .

(۲) الزخرف ۴۳ : ۲۳ .

(۳) يونس ۱۰ : ۷۸ .

(۴) الزخرف ۴۳ : ۲۴ .

(۵) المائدة ۵ : ۱۰۴ .

‹ صفحه ۲۶ ›

فبينما كان يؤكد افتقارهم إلى أدنى حجة ذات قيمة فى ما يعتقدون من عبادة الأوثان والعقائد الزائفة ، ركز على أن كل ما يمتلكونه من حجة هو أنهم وجدوا آباءهم على ذلك ، فتمسكوا به . . * (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) * (۱) .

ثم يؤكد أن هذا هو ديدن هذا الصنف من الناس الذى أغلق على ذهنه المنافذ . . * (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) * (۲) . وهكذا يسوق مقولتهم هذه مرتين فى آيتين متتابعتين

ليجسد ما تنطوى عليه هذه المقولة من تهافت ، وما يغيب فيه هؤلاء من جهل متجذر موروث لا يصغى لدعوة حق ولا لبرهان ساطع بل ليس لديهم أكثر من ترديد مقولتهم تلك * (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) * (۳) ؟ ! حتى لو جاءهم متحديا لما وجدوا عليه آباءهم مبينا فساده . . * (قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) * ؟ حتى مع مثل هذه الاستثارة لا يبحثون عن برهان ، ولا يفتحون نافذة للنظرة ، بل وقفوا دائما بتحجرهم الأول ، و * (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) * (۴) ، و * (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) * (۵) ! ! ويكرر القرآن النكير على هؤلاء فى مواضع آخر ، لأنه إنما يواجه فى مشروعه المعرفى نظريات استحكمت وترسخت لدى أمم متتابعة ، لا يستبعد أن يكون لها

---

(۱) الزخرف ۴۳ : ۲۲ .

(۲) الزخرف ۴۳ : ۲۳ .

(۳) يونس ۱۰ : ۷۸ .

(۴) الزخرف ۴۳ : ۲۴ .

(۵) المائدة ۵ : ۱۰۴ .

‹ صفحه ۲۷ ›

امتداد فى مستقبل الأمم أيضا . . فلقد تجاوزت هذه النظرية حدود المعارف والمعتقدات إلى السلوك والمعاملات . . * (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) * (۱) . و * (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) * (۲) ! !

بعد هذا يبين القرآن الكريم الجزاء الذى ينتظر قوما مضوا على هذا النهج ، مثيرا الأذهان إلى ضرورة الحذر من نهج كهذا . . * (فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) * (۳) .

توجيه طاقة العقل

اشارة

بعد أن حررت العقيدة الإسلامية العقل من القيود التى تأسره ، أطلقته إلى أمام وهى توجه طاقاته من خلال الالفات والتدبر فى الكون والحياة ، من أجل بناء متكامل دينا ودنيا . . ويمكننا أن نشير إلى مجموعات من آيات الذكر الحكيم توجه العقل إلى آفاق رحيبة متعددة ، منها :

أولا : التدبر فى آيات الله تعالى فى الآفاق وفى الأنفس :

قال تعالى : * (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) * (۴) .

---

(۱) الأعراف ۷ : ۲۸ .

(۲) الشعراء ۲۶ : ۷۴ .

(۳) الزخرف ۴۳ : ۲۵ .

(۴) آل عمران ۳ : ۱۹۰ - ۱۹۱ .

‹ صفحه ۲۸ ›

* (وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون) * (۱) .

* (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض . .) * (۲) .

* (فلينظر الإنسان مم خلق) * (۳) .

* (فلينظر الإنسان إلى طعامه) * (۴) .

* (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى

الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر) * (۵) .

ومما يلفت النظر عناية القرآن بذكر مشاهد الكون عناية كبيرة من خلال تكرار عرضها فى أكثر من سورة ، عرضا متنوعا ، ودعوته الإنسان بإلحاح إلى النظر والتأمل فيها ، والتفكر فى مجرى حوادثها ، والأهم من ذلك كله جعل هذا الكون منطلقا للوصول إلى الله تعالى خالقه ومبدعه .

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يقرأ : * (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) * (۶) ، ويقول : (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) وفى رواية أخرى : (ويل لمن لاكها بين فكيه

---

(۱) الذاريات ۵۱ : ۲۱ - ۲۲ .

(۲) يونس ۱۰ : ۱۰۱ .

(۳) الطارق ۸۶ : ۵ - ۶ .

(۴) عبس ۸۰ : ۲۴ .

(۵) الغاشية ۸۸ : ۱۷ - ۲۱ .

(۶) آل عمران ۳ : ۱۹۰ - ۱۹۱ .

‹ صفحه ۲۹ ›

ولم يتأملها) .

وعن الإمام على (عليه السلام) : (أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول : * (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) * (۱) .

وقد سلك الأئمة الأطهار (عليهم السلام) طريق الاستدلال على وجود الله تعالى من خلال التأمل العقلى فى الكون وما فيه من نظم دقيق وتناسق بديع ، وهو الدليل الذى أطلق عليه المتكلمون " دليل النظم ."

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : (ولو فكروا فى عظيم القدرة ، وجسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق ، وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة ، والبصائر مدخولة ، ألا ينظرون إلى صغير ما خلق ، كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر !

انظروا إلى النملة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها وضنت على

رزقها . . .

ولو فكرت فى مجارى أكلها ، وفى علوها وسفلها ، وما فى الجوف من شراسيف بطنها ، وما فى الرأس من عينها وأذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، ولقيت من وصفها تعبا . . . فانظر إلى الشمس والقمر ، . . . وتفجر هذه البحار ، وكثرة هذه الجبال ،

---

(۱) راجع الكشاف ، للزمخشرى ۱ : ۴۵۳ .

‹ صفحه ۳۰ ›

وطول هذه القلال ، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات . . فالويل لمن أنكر المقدر ، وجحد المدبر ، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، ولم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا ، ولا تحقيق لما أوعوا . . وهل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان !) (۱) .

ومن ناحية أخرى يثير القرآن الكريم فى الأذهان دواعى التفكر الجاد والمثمر فى ما يعرضه من معارف ، فمرة بصيغة الاستفهام الاستنكارى ، كقوله تعالى : * (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) * (۲) .

ومرة بصيغة النفى للتصورات الساذجة ، كقوله تعالى : * (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) * (۳) .

والمعروف أن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تجعل التفكر فى ملكوت السماوات والأرض عبادة ، بل أفضل عبادة ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (أفضل العبادة إدمان التفكر فى الله وفى قدرته) (۴) .

وكان أتباع هذه المدرسة العالية وتلامذتها يكثرون من هذه العبادة الفكرية التى تسهم بصورة فعالة فى بناء الإنسان وإيصاله إلى مراتب عرفانية عالية . فعلى سبيل المثال ، كانت أكثر عبادة أبى ذر (رحمه الله) التفكر

---

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۲۷۰ - ۲۷۱ .

(۲) المؤمنون ۲۳ : ۱۱۵ .

(۳) الدخان ۴۴ : ۳۸ - ۳۹ .

(۴) أصول الكافى ۲ : ۵۵ / ۳ كتاب الإيمان والكفر .

‹ صفحه ۳۱ ›

والاعتبار وقد سئلت أم أبى ذر عن عبادة أبى ذر فقالت " : كان نهاره أجمع يتفكر فى ناحية من الناس (" ۱) .

وينبغى معرفة أن النظرة العامة إلى الوجود التى يرشد إليها الثقلان - القرآن والعترة - هى الأصل الذى تنبثق منه جميع نظرات الإنسان الفكرية واتجاهاته السلوكية ، وهى الأساس فى اختلاف الحضارات والثقافات .

ثانيا : النظر فى سنن التاريخ :

حيث دعتنا العقيدة إلى تأمل أحداث التاريخ بنظر ثاقب ، وفكر فاحص ، وصولا إلى العوامل التى كانت سببا فى تدهور المجتمعات ، وسقوط الحضارات ، أو نموها ، قال تعالى : * (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) * (۲) .

وقال تعالى : * (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهر

تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) * (۳) .

وقال تعالى : * (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين) * (۴) .

إنها دعوة تلح على الناس أن يحركوا عجلة عقولهم ، وينظروا فى تاريخ من قبلهم ، حتى لا يكونوا كالقطيع التائه يسير بلا راع نحو المجهول ، وهى

---

(۱) تنبيه الخواطر ، الأمير ورام بن أبى فراس ۱ : ۲۵۰ باب التفكر - دار صعب .

(۲) آل عمران ۳ : ۱۳۷ .

(۳) الأنعام ۶ : ۶ .

(۴) يونس ۱۰ : ۱۳ .

‹ صفحه ۳۲ ›

دعوة ذات منهج مرسوم من أجل الاستفادة من تجارب الحضارات السابقة ودراسة أسباب سقوطها ، لا سيما وأن التاريخ يعيد نفسه قال تعالى : * (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) * (۱) .

ولا بد من التنويه على " أن دور الدين ومسؤوليته فى حياة الإنسان هو إيجاد جو من الملائمة والانسجام بين سلوك وتفكير الإنسان وبين سنن الله تعالى فى الحياة ، وتحويل مجرى حياة الإنسان إلى تيار هذه السنن الإلهية التى جعلها الله نظاما لخلقه وتكوينه فى هذا الكون (" ۲) .

فالدين يوجه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة ، وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين النظرة السطحية الساذجة للحياة والتاريخ ، وبين النظرة العميقة والمتفحصة التى لا تقتصر على ملاحظة الشئ أو الحدث ، وإنما تنفذ إلى أعماقه ، وترصد لوازمه ودلالاته بغية استنباط السنة التاريخية التى تنطبق عليه ، فعلى سبيل المثال يمر السائح على أهرامات مصر ، فينبهر لروعة بنائها ، وشدة ارتفاعها ، ويتمتع بمنظرها وينتهى كل شئ .

أما المفكر الواعى المتسلح بالعقيدة ، فعندما يمر عليها ، ترتسم فى ذهنه عدة تساؤلات : عن قدرات الإنسان ، وعن الظلم الذى كان سائدا آنذاك من خلال تسخير الفراعنة لأعداد كبيرة من الناس للعمل فى بناء هذه الأهرامات ، وما لا قوه من العناء والتعب وصنوف التعذيب ، كما يستنتج ما تنطوى عليه فكرة الفراعنة الخاطئة عن الموت والبعث ، بل يتزود المؤمن الوعى بعد تلك المعارف بالعبرة النافعة وهو يشاهد خرائبها فيتسائل فى نفسه ، أين ساكنيها وما مصيرهم ؟ !

---

(۱) الأحزاب ۳۳ : ۶۲ .

(۲) دور الدين فى حياة الإنسان ، للشيخ الآصفى : ۱۲۱ - ۱۲۲ - دار التعارف ط ۲ .

‹ صفحه ۳۳ ›

من أجل ذلك يرشد آل البيت (عليهم السلام) إلى أهمية الملاحظة الواعية النظرة العميقة التى لا تقتصر على ظواهر الأمور ، بل تنفذ إلى الأعماق ، وما تنطوى عليه من أبعاد ، ودلالات تضمنية أو التزامية . فعن الحسن الصيقل ، قال : قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) : تفكر ساعة خير من قيام ليلة ؟

قال (عليه السلام) : (نعم ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : تفكر ساعة خير من قيام ليلة) (۱) .

ولما مر أمير المؤمنين (عليه السلام) بخرائب المدائن ، أعطى لأصحابه درسا حول العبرة من التأريخ ، قال (عليه السلام) : (إن

هؤلاء القوم كانوا وارثين ، فأصبحوا مورثين ، وإن هؤلاء القوم استحلوا الحرم فحلت فيهم النقم ، فلا تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم) (۲) .

وقال (عليه السلام) : (فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ، ووقائعه ومثلاته . .) (۳) .

وذهب الإمام على (عليه السلام) إلى أبعد من ذلك ، عندما أشار إلى أن السنة التأريخية تنطبق على الجميع ، فى كل مكان وزمان ، ولا تقتصر على تدمير الكافرين والمستكبرين ، بل تطال المؤمنين أيضا ، إذا لم يلتزموا - عمليا - بالمنهج الإلهى فى الحياة ، وإذا حادوا عن جادة الصواب وذلك حين تختلف الكلمة وتسود الفرقة ، وفى هذا الصدد يقول (عليه السلام) : (وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا فى حال التمحيص والبلاء . . فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة والأهواء مؤتلفة . .

---

(۱) بحار الأنوار ۷۱ : ۳۲۵ ، عن المحاسن : ۲۶ .

(۲) كنز العمال ۱۶ : ۲۰۵ .

(۳) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۲۹۰ .

‹ صفحه ۳۴ ›

فانظروا إلى ما صاروا إليه فى آخر أمورهم حين وقعت الفرقة ، وتشتتت الألفة ، واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعبوا مختلفين ، وتفرقوا متحاربين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته ، وسلبهم غضارة نعمته ، وبقى قصص أخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين) (۱) .

وكان من جملة وصيته الذهبية لابنه الحسن (عليه السلام) يحثه على التفكر فى أحوال الأمم الماضية ، وهو ما يسمى اليوم ب "فلسفة التأريخ : (" أى بنى إنى وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت كأحدهم ، بل كأنى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم . .) (۲) .

ثالثا : النظر فى حكمة التشريع :

والغرض من ذلك ترسيخ قناعة المسلم بتشريعه وصوابيته وبيان صلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان ، من أجل أن تنقشع عن فكر المسلم غيوم الشبهات التى يثيرها أعداء العقيدة من حوله . وإذا كانت بعض أحكام الدين الإسلامى توقيفية ، تدعو المسلم نحو التسليم بها ، ولا يجدى معها إعمال العقل ، كالأمور العبادية ، إلا أن هناك تشريعات فى الإسلام ذات أبعاد اجتماعية كشف القرآن لنا عن الحكمة الكامنة من وراء تشريعها لمصالح تعود إلى الفرد والمجتمع ، من قبيل قوله تعالى : * (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) * (۳) .

---

(۱) نهج البلاغة : ۲۹۶ - ۲۹۷ .

(۲) نهج البلاغة : ۳۹۳ - ۳۹۴ .

(۳) البقرة ۲ : ۱۷۹ .

‹ صفحه ۳۵ ›

وقوله تعالى : * (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) * (۱) .

كما كشفت لنا السنة عن جوانب كثيرة من حكمة التشريع ، وعلى سبيل المثال : كتب الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى

محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله : (حرم الله قتل النفس لعلة فساد الخلق فى تحليله لو أحل وفنائهم وفساد التدبير . . وحرم الله تعالى الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد المواريث وما أشبه ذلك من وجوه الفساد . .) (۲) .

رابعا : توجيه العقل إلى النظر ، والتثبت فى الرأى ، واستقلالية التفكير والقرار :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا أن لا تظلموا) (۳) .

قال تعالى : * (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) * (۴) . نداء بليغ إلى النظر وإعمال الفكر ، من خلال الاستنكار على السطحيين والمغفلين المعاندين ، أولا ، ثم من خلال التقريع العنيف لهذه الأصناف من الناس ، ثانيا .

---

(۱) المائدة ۵ : ۶ .

(۲) من لا يحضره الفقيه ۳ : ۳۶۹ .

(۳) ميزان الحكمة ۸ : ۲۵۴ ، عن الترغيب والترهيب ۳ : ۳۴۱ .

(۴) محمد ۴۷ : ۲۴ .

‹ صفحه ۳۶ ›

وقال تعالى : * (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) * (۱) .

فلا قيمة لدعوى لا تستند إلى برهان صحيح ، وإذا كان الزمخشرى قد رأى أن هذا النص هو " أهدم شئ لمذهب المقلدين (" ۲) . فإن فيه ما يفيد أكثر من ذلك ، إذ قد ينصرف لفظ المقلدين إلى من غلب عليهم التقليد ، لكن هذا النص حاكم على دائرة الفكر البشرى بكامل أجزائها ونواحيها ، فقد يقع المفكرون - وكثيرا ما وقعوا - بأغلاط كبيرة نتيجة اعتمادهم بعض الكليات العامة التى استقر فى أذهانهم أنها بديهيات لا تحتاج إلى برهان ، بينما لم تكن هذه الكليات فى حقيقة أمرها إلا تصورات صادرة عن أوهام أو قصور فى العقل . وهذا كثير فى أغلاط أهل الجدل ، بل قد يقع أحيانا حتى فى العلوم التطبيقية ، حين ينظر إلى بعض الاستنتاجات على أنها قوانين علمية ثابتة ، فى حين أنها استنتاجات قائمة على ملاحظات ناقصة ، وهكذا نلمس مدى أكبر لدعوة القرآن الكريم إلى تقديم البرهان التام على كل مقولة ودعوى وسواء كانت فى العلوم العقلية ، أو فى العلوم التطبيقية .

ولا شك أن مساحة النظر والتدبر واسعة ، سعة المعارف والمواقف ، وسنشير هنا إلى أثرين مهمين :

أحدهما عام عموم النص القرآنى المذكور ، وإن استهدف فى ظاهره العقل المقلد والمتابع ، شأن طوائف الناس الذين يغلب عليهم التقليد فى عقائدهم ومواقفهم .

---

(۱) البقرة ۲ : ۱۱۱ ، النمل ۲۷ : ۶۴ .

(۲) الكشاف ۱ : ۱۷۸ .

‹ صفحه ۳۷ ›

والأثر الثانى ، مما جاء فى لون خاص من ألوان المتابعة والتقليد ، وهو التقليد الأعمى لأشخاص استقر لهم فى النفوس موقع كبير ، تلاشى إلى جنبه دور العقل وأثره فى النظر والتفكير والنقد ، وكأن هؤلاء الأشخاص قد أصبحوا فى أنفسهم ميزانا للحق ، فلا يصح أن

توزن أقوالهم وأعمالهم أو تعرض للنقد والنظر ، هذا النوع من التقليد الذى كان ولا يزال مصدرا للكثير من الأخطار فى العقائد والمواقف . . وقف إزاءه أمير المؤمنين (عليه السلام) موقف الكاشف عن سر الخطأ فيه والمعلم للطريق الصحيح فى التماس المعارف ، ذلك حين جاءه بعض من ذهله وقوف طلحة والزبير وعائشة فى صف واحد إزاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستنكر أن يجتمع هؤلاء على خطأ ، وذكر ذلك لأمير المؤمنين (عليه السلام) فأجابه (عليه السلام) مبتدءا جوابه بالتنبيه إلى مصدر الوهم ، منتقلا بعد ذلك إلى إعطائه المنهج السليم فى المعرفة ، فقال له (عليه السلام) : (إنك ملبوس عليك ، إن دين الله لا يعرف بالرجال ، بل بآية الحق ، فاعرف الحق تعرف أهله) (۱) .

خامسا : توجيه الإنسان إلى كسب العلم والمعرفة :

[توضيح]

من المسلمات التى لا تحتمل جدلا ، أن الدين الإسلامى يحث بقوة على كسب العلم والمعرفة ، ومن يتأمل سور القرآن الكريم يجد ذلك يتكرر كثيرا تصريحا أو تلميحا : * (. . قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) * (۲) .

---

(۱) أمالى الطوسى : ۶۲۵ / ۱۲۹۲ مؤسسة البعثة . بحار الأنوار ۳۹ : ۲۳۹ / ۲۸ .

(۲) الزمر ۳۹ : ۹ .

‹ صفحه ۳۸ ›

* (. . يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) * (۱) .

* (وقل رب زدنى علما) * (۲) .

* (إنما يخشى الله من عباده العلماء) * (۳) .

ولأهمية العلم فقد أخذ الله تعالى الميثاق على أهل الكتاب من أجل تبيينه ، وعدم احتكاره : * (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه . .) * (۴) .

وبعد آيات القرآن تأتى أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) حيث تصب فى هذا الاتجاه ، وتقر بأن العلم يشكل عماد الدين وفيه حياة الإسلام ، وتحث على طلبه ، وتكشف عن فضيلته ، فمداد العلماء – فى نظر الإسلام – أفضل من دماء الشهداء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ، وفى هذا الصدد : يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحج والجهاد فى سبيل الله) (۵)

ويكفى الاستشهاد بكلمة الإمام على (عليه السلام) العميقة المغزى : (قيمة كل أمرء ما يحسنه) (۶) . فى الدلالة على حث أهل البيت (عليهم السلام) على كسب العلم

---

(۱) المجادلة ۵۸ : ۱۱ .

(۲) طه ۲۰ : ۱۱۴ .

(۳) فاطر ۳۵ : ۲۸ .

(۴) آل عمران ۳ : ۱۸۷ .

(۵) كنز العمال ۱۰ : ۱۳۱ / ۲۸۶۵۵ .

(۶) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۴۸۲ / حكم ۸۱ .

‹ صفحه ۳۹ ›

والمعرفة .

إمعن النظر فى هذه المقارنة البديعة التى يعقدها الإمام على (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعى حول تفضيل العلم على المال ، قال (عليه السلام) : (يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الإنسان الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه .

يا كميل ، هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة) (۱) .

ونتيجة لهذا الزاد المعرفى الغنى ، انطلق الإنسان المسلم من أسر الجهل والتخلف إلى آفاق العلم الواسعة ، فأخذ يتأمل الظواهر الكونية ، ويكتشف أسرار الطبيعة ، من خلال المنهج التجريبى الذى وجهته عقيدته إليه ، وهو المنهج الذى قام عليه العلم الحديث .

يقول : (جب) فى كتابه : الاتجاهات الحديثة فى الإسلام " : أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون ، قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى إلى

---

(۱) نهج البلاغة : ۴۹۶ / حكم ۱۴۷ .

‹ صفحه ۴۰ ›

أوروبا فى العصور الوسطى (" ۱) .

وللإنسان أن يقف مبهورا أمام عظمة العقيدة الإسلامية ، التى أحدثت ذلك الانقلاب الحضارى فى نفوس أبناء الصحراء حتى صاروا طليعة العالم كله فى العلم والمعرفة وسائر جوانب الحضارة والمدنية .

العلم و الإيمان :

وتجدر الإشارة إلى أن العقيدة تربط العلم بالإيمان ، فالعلم بدون إيمان كغرس بلا ثمر ، العلم يدعو إلى الإيمان ، والإيمان بدوره يحث على العلم ، والفصل بينهما يؤدى إلى عواقب لا تحمد عقباها . . يقول الشهيد مرتضى المطهرى " : قد أثبتت التجارب التأريخية ، أن فصل العلم عن الإيمان قد أدى إلى أضرار لا ـ يمكن تعويضها ، يجب معرفة الإيمان على ضوء العلم ، والإيمان يبتعد عن الخرافات فى نور العلم ، وبفصل العلم عن الإيمان يتحول الإيمان إلى الجمود والتعصب الأعمى والدوران بشدة حول نفسه ، وعدم الوصول إلى مكان ، والمكان الفارغ من العلم والمعرفة ينقلب فيه المؤمنون الجهلة إلى آلة بيد كبار المنافقين ، والذى رأينا ونرى نماذج منهم فى خوارج صدر الإسلام ، والأدوار التى تلت بصور مختلفة . .

والعلم بلا ـ إيمان سراج فى منتصف الليل بيد لص لسرقة أفضل البضائع ، ولهذا فإن الإنسان العالم بلا إيمان اليوم ، لا يختلف عن الجاهل بلا إيمان فى الأمس أقل الاختلاف ، من حيث طبيعة الأساليب والأفعال وماهيتها (" ۲) .

---

(۱) راجع كتاب منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب : ۱۱۹ - دار دمشق ط ۲ .

(۲) الإنسان والإيمان ، للشهيد المطهرى ۱ : ۱۵ طبع وزارة الارشاد الاسلامى .

‹ صفحه ۴۱ ›

وعليه فالعلم بحاجة إلى الإيمان كحاجة الجسد إلى روح ، لأن العلم لوحده عاجز بطبيعته عن بناء الإنسان الكامل ، فالتربية العلمية الخالصة تبنى نصف إنسان لا إنسانا كاملا ، وتصنع إنسانا قد يكون قويا وقادرا ولكنه ليس فاضلا بالضرورة ، هى تصنع إنسانا ذا بعد واحد ، هو البعد المادى ، أما الإيمان فإنه يصوغ الشخصية فى مختلف الأبعاد .

ولقد بلغ اغترار الأوربيين بالعلم حدا وصل إلى حد التأليه والعبادة ، وإن لم يقيموا شعائره العبادية فى كنائسهم ، ولما كان الدين يرتكز على قواعد غيبية ، خارج نطاق المادة ، اعتبروه ظاهرة غير علمية .

وعلى هذا الأساس ظهر بينهم داء الفصل بين الدين والعلم ، وهو توجه غريب عن منهج الإسلام " ، وليس أدل على هذا التماسك بين الإيمان والعلم من هذه الدعوة الملحة ، فى الدين إلى طلب العلم والاستزادة منه فى كل مراحل العمر ، وفى كل الحالات . . ومن هذه القيمة الكبيرة التى يعطيها الدين للعلم والعلماء .

وإذا كان هناك صراع بين العلم والدين فى بعض فترات التأريخ ، كما حدث ذلك فى تأريخ المسيحية ، فإن ذلك لا علاقة له بالدين ، وإنما هو لون من ألوان الانحراف عن الدين ، ولا يكون الدين مسؤولا عما يرتكب الناس بحقه من انحراف (" ۱) .

ومما يؤسف له ، أن بعض الأصوات ترتفع هنا وهناك تنادى بالفصل بين العلم والدين ، بدعوى أن أوربا تنكرت للدين فتقدمت علميا وحضاريا ، ونحن تمسكنا بالدين فتخلفنا ، إن عقول هؤلاء إما قاصرة عن

---

(۱) دور الدين فى حياة الإنسان ، للشيخ الآصفى : ۶۹ - دار التعارف ط ۲ .

‹ صفحه ۴۲ ›

إدراك وظيفة العلم الذى هو أداة لكشف الحقائق الموضوعية ، وتفسير الواقع تفسيرا محايدا بأعلى درجة من الدقة والعمق . أو أن هذه العقول جاهلة بمنهج الإسلام الذى ما انفك يدعو إلى العلم ، وأغلب الظن أنها عقول مأجورة تردد مزاعم الأعداء والحاقدين على الإسلام ، وتغض الطرف عن العواقب الروحية الجسيمة ، التى حصلت من جراء فصل العلم عن الدين " : وأوضح الأمثلة على ذلك ، هذا العصر الذى نعيش فيه ، العصر الذى وصل فيه التقدم العلمى والمادى ذروته ، ووصلت الإنسانية إلى حضيضها من التقاتل الوحشى والتخاصم الذى يقطع أواصر الإنسانية ، ويجعلها تعيش فى رعب دائم وخوف من الدمار ، كما وصلت إلى الحضيض فى تصورها لأهداف الحياة وغاية الوجود الإنسانى وحصرها فى اللذة والمتاع ، وانحطاطها - تبعا لهذا التصور - إلى أحط دركات الانحلال الخلقى والفوضى الجنسية التى يعف عنها الحيوان (" ۱) .

وعليه فإن العقيدة الإسلامية لها فضل كبير على مناهج التربية التى تسعى لبناء الإنسان ، لتأكيدها على دور الإيمان والعلم معا فى بناء شخصية الإنسان ، فصل العلم عن الإيمان يغدو الإنسان كإبرة مغناطيس تتأرجح بين الشمال والجنوب ، وعليه فهو بحاجة ماسة إلى قوة تتمكن من إيجاد ثورة فى ضميره ، وتمنحه اتجاها أخلاقيا يحقق انسانيته ، وهذا عمل لا يتمكن منه العلم بمعزل عن الدين .

---

(۱) منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب : ۱۱۵ .

‹ صفحه ۴۳ ›

الفصل الثانى البناء الاجتماعى والتربوى

اشارة

قامت العقيدة بدور تغييرى كبير على صعيد البناء الاجتماعى والتربوى ، يمكن الإشارة إليه من خلال النقاط التالية :

أولا : إثارة الشعور الاجتماعى

لقد كان إنسان ما قبل الإسلام يتمحور فى سلوكه الاجتماعى حول ذاته ، وينطلق فى تعامله مع الآخرين من منظار مصالحه وأهوائه ، وينساق بعيدا مع أنانيته . ولقد هبط فى القاع الاجتماعى إلى درجة " الوأد " لأبنائه ، خشية الفقر والمجاعة ، الأمر الذى استدعى التدخل الإلهى ، لإنقاذ النفوس البريئة من هذه العادة الاجتماعية القبيحة ، قال تعالى : * (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) * (۱) .

على أن أشد ما يسترعى الانتباه ، أن ذلك الإنسان الجاهلى ، الدائر حول ذاته ومنافعها ، قد غدا بتفاعله مع إكسير العقيدة ، يضحى بالنفس والنفيس فى سبيل دينه ومجتمعه ، وبلغت آفاق التحول فى نفسه إلى المستوى الذى يؤثر فيه مصالح أبناء جنسه على منافع نفسه .

---

(۱) الإسراء ۱۷ : ۳۱ .

‹ صفحه ۴۴ ›

وليس بخفى على أحد مستوى الإيثار الذى أبداه الأنصار مع المهاجرين ، إذ شاطروهم فى كل ما يملكون ، وحتى فى بيوتهم وأمتعتهم ، ولم ينحصر هذا المستوى من الايثار بأفراد ، بل شكل ظاهرة اجتماعية عامة لم يشهد لها تاريخ الإنسانية نظيرا - وفى هذه الظاهرة نزل قرآن كريم يبارك هذه الروح ، ويخلد ذكر مجتمع تحلى بها ، كنموذج من نماذج التلاحم الاجتماعى والمؤاخاة . . قال تعالى : * (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) * (۱) .

وينقض الإسلام أسسا فى البناء الاجتماعى الجاهلى قوامها تعزيز التقسيم الطبقى والقبلى للمجتمع ، الذى كان يتشكل من طبقتين أساسيتين ، طبقة الأشراف ، وطبقة العبيد ، ولا بد لأبناء طبقة الأشراف أن يبقوا هكذا ، تجتمع لديهم الثروات ويحتكرون الشأن والوجاهة ، ولا بد لأبناء طبقة العبيد أن يبقوا هكذا يدورون فى فلك الأسياد . . فقوض الإسلام هذه الأسس وأقام محلها أسسا جديدة تساوى بين الناس فى حق الحياة وحق الكرامة ، قال تعالى : * (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) * (۲) ، فتحرر أبناء طبقة العبيد ومارسوا حقهم فى الحياة ، وارتفع عمار وسلمان وبلال عاليا فوق طبقة أشراف قريش التى ما زالت تتخبط فى ضلالات الجاهلية ،

---

(۱) الحشر ۵۹ : ۸ - ۹ .

(۲) الحجرات ۴۹ : ۱۳ .

‹ صفحه ۴۵ ›

كالوليد بن المغيرة وهشام بن الحكم وأبى سفيان وأمثالهم . .

وحتى الأموال لم تعد حكرا على الأغنياء ليزدادوا ثراء ، قال تعالى :

* (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) * (۱) .

أساليب تنمية الشعور الاجتماعى :

[اولا]

لقد نمت العقيدة الشعور الاجتماعى لدى الفرد بوسائل عديدة ، منها :

أ - إيقاظ الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين :

من خلال تأكيد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان تجاه نفسه وغيره ، كقوله تعالى : * (وقفوهم إنهم مسؤولون) * (۲) ، وقوله تعالى : * (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا . .) * (۳) .

وقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (وإنى مسؤول وإنكم مسؤولون) (۴) .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا : (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسؤولة

---

(۱) الحشر ۵۹ : ۷ .

(۲) الصافات ۳۷ : ۲۴ .

(۳) التحريم ۶۶ : ۶ .

(۴) كنز العمال ۵ : ۲۸۹ .

‹ صفحه ۴۶ ›

عنهم . .) (۱) .

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (اتقوا الله فى عباده وبلاده ، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم . .) (۲) .

وكنظرة مقارنة ، نجد أن المذاهب الاجتماعية الوضعية ، بنيت على أساس المسؤولية الفردية فى هذه الحياة فحسب ، وتأييدها بمؤيدات قانونية كحجز الحرية ، أو التعذيب ، أو التغريم المالى أو العزل عن الوظيفة ، أو التسريح عن العمل ، أو المكافأة بالمال أو الترقية فى الوظيفة . . وما إلى ذلك ، وبمؤيدات اجتماعية كالثقة أو حجبها والتقدير أو التحقير .

أما المذهب الإسلامى ، فلا يقتصر على مسؤولية الفرد أمام المجتمع الذى يعيش بين ظهرانيه فى هذه الحياة ، وإنما ينمى فى الفرد المسؤولية العظمى أمام الخالق العظيم فى حياة أخرى ، وحينئذ يدفعه إلى التحديد الذاتى أو الطوعى لرغباته ، والشعور الاجتماعى نحو غيره ، بغض النظر عن القانون أو العرف أو الضمير ، لأن الضمير قد يعجز عن مواجهة الغرائز عند فقدان العقيدة الدينية ، كما أنه ليس من الميسور توفير الرقابة الاجتماعية فى كل مكان ، وبصورة دائمة ، وعليه فإن هذه الرقابة الداخلية لا توجد فى غير العقيدة الدينية .

ب - تنمية روح التضحية والإيثار :

لقد حث القرآن الكريم على الايثار ، وأشاد بروح التضحية التى اتصف

---

(۱) صحيح مسلم ۳ : ۱۴۵۹ كتاب الإمارة - دار إحياء التراث ط ۱ .

(۲) نهج البلاغة ، خطبة ۱۶۷ .

‹ صفحه ۴۷ ›

بها المسلمون ، فلما بات على بن أبى طالب (عليه السلام) على فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يفديه بنفسه ، فيؤثره بالحياة ، أشاد الله تعالى بهذا الموقف التضحوى الفريد ، فأنزل : * (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد)

* (۱) .

يقول الفخر الرازى . . . " : نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام) ، بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة خروجه إلى الغار ، ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل (عليه السلام) عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادى : بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة ، ونزلت الآية (" ۲) .

وقدمت السيرة المطهرة القدوة الحسنة فى هذا المقام ، فقد روى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شاء لشبع ، ولكنه كان يؤثر على نفسه (۳) .

وهذا السلوك النبوى ، ظهرت بصماته واضحة فى سلوك أهل بيته (عليهم السلام) ، الذين يسيرون على نهجه ، ويترسمون خطاه ، ويترجمون أقواله إلى واقع عملى ملموس . . " : عن محمد بن كعب القرظى ، قال : سمعت على بن أبى طالب (عليه السلام) يقول : (لقد رأيتنى وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وإن صدقتى لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار) (۴) ، كل ذلك لأنه كان يؤثر على نفسه ، ويفضل مصلحة غيره على مصلحته .

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱ : ۱۷۴ . والآية من سورة البقرة ۲ : ۲۰۷ .

(۲) التفسير الكبير ، للفخر الرازى ۵ : ۲۲۳ .

(۳) تنبيه الخواطر ، للأمير ورام ۱ : ۱۷۲ باب الايثار .

(۴) أسد الغابة ، لابن الأثير ۴ : ۱۰۲ / ۳۷۸۳ – دار إحياء التراث العربى .

‹ صفحه ۴۸ ›

قال أبو النوار – بياع الكرابيس – : أتانى على بن أبى طالب (عليه السلام) ومعه غلام له ، فاشترى منى قميصى كرابيس ، فقال لغلامه : (اختر أيهما شئت) ، فأخذ أحدهما ، وأخذ على الآخر فلبسه (۱) .

ومن الشواهد التأريخية ، التى تدل على ذلك التحول الاجتماعى الكبير الذى أحدثته العقيدة ، فى فترة وجيزة ، أنه أهدى لرجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأس شاة ، فقال : إن أخى فلانا أحوج إلى هذا منا ، فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى الأول (۲) .

هكذا تربى العقيدة الإنسان المسلم على الشعور الاجتماعى ، شعور الفرد نحو غيره ، فيتجاوز دائرة الذات إلى دائرة أرحب هى دائرة العائلة ، ثم تتسع اهتماماته لتشمل دائرة الجوار ، ثم أبناء بلدته ، وبعدها أبناء أمته ، وفى نهاية المطاف تتسع لدائرة أكبر فتشمل الإنسانية جمعاء .

جتنمية الشعور الجماعى :

وفى هذا الصدد ، نجد فيض من الأحاديث التى تحث الفرد على الانضمام للجماعة والانسجام معها ، والانصباب فى قالبها ، بعد أن ثبت عند العقلاء بأن فى الاجتماع قوة ومنعة ، وبعد أن أكد النقل على أن الله تعالى قد جعل فيه الخير والبركة ، يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يد الله مع

. . . . . .

(۱) أسد الغابة ، لابن الأثير ۴ : ۱۰۳ .

(۲) أسباب النزول ، لأبى الحسن النيسابورى : ۲۸۱ – انتشارات الرضى . وفى طبعة عالم الكتب : ۲۳۵ .

‹ صفحه ۴۹ ›

الجماعة ، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض) (۱) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) (۲) .

وفى كل ذلك دليل قاطع على أن الإسلام دين اجتماعى ، يحاول ربط الفرد بالجماعة ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهنا لا بد من التنبيه على أن الحكام الظلمة ، قد استغلوا مفهوم " الجماعة " أبشع استغلال لتثبيت سلطانهم والمحافظة على عروشهم ، فأخذوا يصبون جام غضبهم على كل من يجهر بكلمة الحق ويقوم بمعارضة تسلطهم اللامشروع ، ويفضح أساليبهم غير الإسلامية ، وكان الأمويون - الذين اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا - يقتلون كل من خرج عليهم بحجة أنه مفارق للجماعة ، وكذلك سار العباسيون على ذلك النهج ، بل وتفوقوا على الأمويين فى ابتكار أساليب القتل والتعذيب .

ومن يتصفح كتب التأريخ ، يجد أنه ينقل صورا بشعة لأساليب التنكيل والقتل التى مارسها الأمويون والعباسيون ضد العلويين بحجة واهية هى الخروج عن الاجماع والجماعة .

على أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوضح بجلاء مفهوم الجماعة الذى لا يعنى - بالضرورة - الكثرة ، كما يتصوره السطحيون وكما يحرفه السلطويون ، بل يعنى جماعة أهل الحق وإن قلوا ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من فارق جماعة

.....

(۱) كنز العمال ۱ : ۲۰۶ .

(۲) كنز العمال ۱ : ۲۰۶ / ۱۰۳۵ .

‹ صفحه ۵۰ ›

المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه قيل : يا رسول الله ما جماعة المسلمين ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : جماعة أهل الحق وإن قلوا) (۱) .

وعودة إلى أصل المطلب ، فقد تبين لنا بأن العقيدة تدعو الإنسان المسلم إلى الانضمام إلى الجماعة ، وهنا ثمة تساؤل يفرض نفسه ، وهو وجود أحاديث كثيرة فى مصادرنا ، تدعو الإنسان المسلم إلى إيثار العزلة ، وبالتالى الابتعاد عن الناس ، يجيب مؤلف جامع السعادات ، الشيخ النراقى عن ذلك بقوله : (نظر الأولون إلى إطلاق ما ورد فى مدح العزلة ، وإلى فوائدها وما ورد فى مدحها ، كقول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن الله يحب العبد التقى الخفى) ، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ، ثم رجل معتزل فى شعب من الشعاب) .

وقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (فسد الزمان ، وتغير الإخوان ، وصار الانفراد أسكن للفؤاد) ، وقوله (عليه السلام) : (أقلل معارفك ، وأنكر من تعرف منهم) .

إلى أن قال : فالصحيح أن يقال : إن الأفضلية منهما - أى المخالطة والعزلة - تختلف بالنظر إلى الأشخاص والأحوال والأزمان والأمكنة ، فينبغى أن ينظر إلى كل شخص وحاله . . أن الأفضل لبعض الخلق العزلة التامة ، ولبعضهم المخالطة ، ولبعضهم الاعتدال فى العزلة والمخالطة) (۲) .

ويمكننا التوفيق بين الطائفتين بالقول :

إن الاتجاه الداعى إلى العزلة ، يمكن حمله على عدة وجوه ، منها : أن التوجه للعبادة يتطلب - عادة-

.....

(۱) روضة الواعضين ، للفتال النيسابورى : ۳۳۴ - منشورات الرضى - قم .

(۲) جامع السعادات ، للنراقى ۳ : ۱۹۵ - ۱۹۷ - مطبعة النجف الأشرف ۱۳۸۳ هط ۳ .

‹ صفحه ۵۱ ›

الابتعاد عن الناس آنا ما ، بغية الانقطاع إلى الله تعالى .

وهـذا الأمر – بطبيعة الحال – لا ينطبق على جميع العبادات ، فالحج الذى هو عبادة ذات صـبغة اجتماعية ، يجتمع خلاله الناس من كل حدب وصوب فى مكان واحد ، وزمان محدد ، لأداء شعائر واحدة .

من جـانب آخر يمكن حمل العزلـة على تجنب مخالطـة الأشـرار ، فقـد ورد فى وصـية الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) لأبى ذر الغفارى (رضى الله عنه) : (. . . يا أبا ذر ، الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من جليس السوء . .) (۱) .

أمـا الاختلاـط بالأخيار ، فهو أمر مرغوب فيه ، والإسـلام – كما أسـلفنا – يحث عليه ، وعلى العموم فهناك حالات اسـتثنائية تسـتدعى العزلة عن الناس ، أما القاعدة العامة فى الإسلام ، فتؤكد على مخالطة الناس ، والصبر على أذاهم .

يقول الرسول الأكرم (صـلى الله عليه وآله وسـلم) : (المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) (۲) .

والإسلام يبغض العزلة التامة عن الناس مهما كانت مبرراتها ، عبادية أو غيرها ، فلا رهبانية فى الإسلام كما هو معروف ، ومن الشواهد النقليـة على ذلك أن رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فقد رجلا ، فسأل عنه فجاء ، فقال : يا رسول الله إنى أردت أن آتى هذا الجبل فأخلو فيه فأتعبـد ، فقال رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) : (لصبر أحـدكم ساعة على ما يكره فى بعض مواطن الإسـلام خير من

---

(۱) مكارم الأخلاق ، للطبرسى : ۴۶۶ – مؤسسة الأعلمى – ط ۶ .

(۲) كنز العمال ۱ : ۱۵۴ / ۷۶۹ .

‹ صفحه ۵۲ ›

عبادته خاليا أربعين سنة) (۱) .

وعلى ضـوء ذلـك فهنـاك مواطن تتطلب من الفرد أن ينظم إلى الجماعـة وأن ينصـهر بهـا ، كمواطن الجهـاد ، وحضور الجماعـة فى المساجد ، والدراسة فى مراكز التعليم المختلفة وغيرها .

ثانيا : تغيير نظم الروابط الاجتماعية

كـان المجتمع الجـاهلى يعتبر رابطـة الـدم والرحم أساس الروابط الاجتماعيـة ، فيضع مبـدأ القرابـة فوق مبادئ الحق والعدالـة فى حال التعارض بينهما ، والقرآن الكريم قد ذم هذه الحمية الجاهلية صراحة : * (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية . .) * (۲) .

وقـد عملت العقيـدة على إزالـة غيوم العصبيـة عن القلوب ، ولم تقر بالتفاضـل بين النـاس القائم على القرابـة والقوميـة أو اللون والمال والجنس ، وبدلا من ذلك أقامت روابط جديدة على أسس معنوية هى التقوى والفضيلة .

وعليه فالعقيدة تنبذ كل أشكال العصبية ، إذ لا يمكن التوفيق بين الإيمان والتعصب .

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) : من تعصب أو تعصب له ، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه) (۳) .

. . . . . .

(۱) كنز العمال ۴ : ۴۵۴ / ۱۱۳۵۴ .

(۲) الفتح ۴۸ : ۲۶ .

(۳) أصول الكافى ۲ : ۳۰۸ / ۲ باب العصبية .

‹ صفحه ۵۳ ›

وقال (عليه السلام) أيضا : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل [على] عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) (۱) .

وفى هذا المجال ، يقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) رؤيته العلاجية لمرض العصبية البغيض ، ففى خطبته المعروفة بالقاصعة يقول (عليه السلام) : (ولقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصب لشئ من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء ، أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم ، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة ، أما إبليس فتعصب على آدم لأصله ، وطعن عليه فى خلقته ، فقال : أنا ناري وأنت طيني ، وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم ، فقالوا : * (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) * فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور . . . فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذمام ، والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغى ، والإعظام للقتل ، والإنصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد فى الأرض) (۲) .

ضمن هذا السياق قام حفيده على بن الحسين (عليه السلام) بإيضاح مفهوم العصبية ، وما هو المذموم منها ، عندما سئل عنها ، فقال (عليه السلام) : (العصبية التى يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم) (۳) .

---

(۱) سنن أبى داود ۲ : ۳۳۲ / ۴ باب فى العصبية .

(۲) شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ۱۳ : ۱۶۶ - دار إحياء التراث العربى ط ۲ .

(۳) أصول الكافى ۲ : ۳۰۸ / ۷ باب العصبية كتاب الإيمان والكفر .

‹ صفحه ۵۴ ›

وهكذا نجد أن العقيدة قد عملت على قشع غيوم العصبية السوداء من القلوب ، وقامت بتشكيل هوية اجتماعية جديدة للناس تقوم على الإيمان بالله ورسوله ، وإشاعة مشاعر الحب والرحمة بدلا من مشاعر التعصب والكراهية ، فالعصبية التى تعنى " : مناصرة المرء قومه ، أو أسرته ، أو وطنه ، فيما يخالف الشرع ، وينافى الحق والعدل . وهى : من أخطر النزعات وأفتكها فى تسيب المسلمين ، وتفريق شملهم ، وإضعاف طاقاتهم ، الروحية والمادية ، وقد حاربها الإسلام ، وحذر المسلمين من شرورها (" ۱) .

ولعل من أبرز مظاهر التغيير الاجتماعى ، الذى صنعته العقيدة أن هناك أفرادا كانوا فى أسفل السلم الاجتماعى فى فترة ما قبل الإسلام ، فإذا هم بعد إشراق شمس الإسلام ، يتصدرون قمة الهرم الاجتماعى ، فبلال الحبشى (رضى الله عنه) يصبح مؤذن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسلمان الفارسى (رضى الله عنه) هو رجل من بلاد فارس ، تنقل من رق إلى رق ، أصبح فى عصر الإسلام صحابيا جليلا ، وحاكما عاما على بلاد كبيرة ، وفوق كل ذلك غدا من أهل البيت (عليهم السلام) ، سأل رجل عليا (عليه السلام) : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن سلمان الفارسى قال (عليه السلام) : (بخ بخ سلمان منا أهل البيت ، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم . .) (۲) .

وكان زيد بن حارثة وابنه أسامة ممن ينبغى - وفق التقسيم الجاهلى - أن يكونا فى طبقة العبيد ، فإذا بهما يقودان جيوش المسلمين فى اثنتين من أكبر الحملات الإسلامية عدة وعددا .

---

(۱) أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) ، للسيد مهدى الصدر : ۷۰ .

(۲) الاحتجاج ، للطبرسى ۱ : ۲۶۰ .

‹ صفحه ۵۵ ›

ولم يكن من اليسير أن يتم هذا التحول الكبير فى أفكار الناس وعلاقاتهم ، فى هذه الفترة القصيرة من عمر الرسالة ، لولا الدور التغييرى الكبير الذى اضطلعت به العقيدة الإسلامية .

ثالثا : الحث على التعاون والتعارف

نقلت العقيدة أفراد المجتمع من حالة التنافس والصراع إلى حالة التعارف والتعاون .

والقرآن مصدر العقيدة الأول ، يحث الناس على الاجتماع والتعارف ، يقول تعالى : * (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . . .) * (۱) .

كما حث الناس على التعاون : * (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . .) * (۲) .

وقد أثبتت تجارب البشرية أن فى التعاون قوة ، وأنه يؤدى إلى التقدم ، وكان المجتمع الجاهلى متخلفا ، يعيش حالة الصراع بدافع العصبية القبلية ، أو طغيان الأهواء والمصالح الشخصية ، أو بسبب احتكار البعض لمصادر الكلأ والماء ، فانتقل ذلك المجتمع – بفضل الإسلام – إلى مدار جديد بعد أن تكرست فيه قيم التعاون والتكافل الاجتماعى .

وفى سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) – الذى كان مصدرا حضارة ، وباعثا لنهضة – نجد شواهد عديدة على حبه للتعاون والتكافل وحثه المتواصل عليهما ، منها : –

. . . . . .

(۱) الحجرات ۴۹ : ۱۳ .

(۲) المائدة ۵ : ۲ .

‹ صفحه ۵۶ ›

أنه أمر أصحابه بذبح شاة فى سفر ، فقال رجل من القوم : على ذبحها ، وقال الآخر : على سلخها ، وقال آخر : على قطعها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (على أن ألقط لكم الحطب) . فقالوا : يا رسول الله ، لا تتعبن – بآبائنا وأمهاتنا – أنت ، نحن نكفيك ؟ ! .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (عرفت أنكم تكفونى ، ولكن الله عز جل يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم) فقام يلقط الحطب لهم (۱) .

وكما كره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الموقف السابق أن ينفرد الإنسان عن سربه ؤالاجتماعى ، ويكتفى بموقف المتفرج لا يقوم بشئ من المشاركة معهم ، كذلك كره أن يصبح الإنسان كلا على جماعته ، يعتمد على غيره فى عيشه وشؤونه ، بدون مبرر معقول : ذكر عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل . . قالوا : يا رسول الله ، خرج معنا حاجا ، فإذا نزلنا لم يزل يهلل الله حتى نرتحل ، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله حتى ننزل .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (فمن كان يكفيه علف دابته ، ويصنع طعامه ؟

قالوا : كلنا ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : كلكم خير منه) (۲) .

وأسهمت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى ترسيخ مبدأ التعاون والتكافل فى أذهان الناس وسلوكهم ، فعلى سبيل الاستشهاد ، كان على بن الحسين (عليه السلام) إذا جنه الليل ، وهدأت العيون ، قام إلى منزله ، فجمع ما تبقى من قوت أهله ، وجعله فى جراب ، ورمى به على عاتقه ، وخرج إلى دور الفقراء ، وهو متلثم ، حتى يفرقه عليهم ، وكثيرا ما كانوا قياما على أبوابهم

---

(۱) مكارم الأخلاق ، للشيخ الطبرسى : ۲۵۱ - ۲۵۲ ، مؤسسة الأعلمى ط ۶ .

(۲) بحار الأنوار ۷۶ : ۲۷۴ عن كتاب المحاسن .

‹ صفحه ۵۷ ›

ينتظرونه ، فإذا رأوه تباشروا به ، وقالوا جاء صاحب الجراب (۱) .

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يتفقد فقراء المدينة فى الليل ، فيحمل إليهم الزبيل فيه العين والورق والأدقة والتمور ، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أى جهة هو . . وكان إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرة دنانير ، وكانت صراره مثلا (۲) .

وقد حث الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم خاصة على تحقيق درجة أعلى من المشاركة والتعاون فيما بينهم ، قد تصل إلى حدود المثالية ، فعن سعيد بن الحسن ، قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : (أيجيئ أحدكم إلى أخيه فيدخل يده فى كيسه ، فيأخذ حاجته فلا يدفعه ؟ فقلت : ما أعرف ذلك فينا ، فقال (عليه السلام) : فلا شئ إذا ، قلت : فالهلاك إذا ، فقال (عليه السلام) : إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد) (۳) .

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) قدوة فى مد يد العون إلى الآخرين ، فعن الفضل بن قرة ، قال كان أبو عبد الله (عليه السلام) يبسط رداءه وفيه صرر الدنانير ، فيقول للرسول : (إذهب بها إلى فلان وفلان من أهل بيته ، وقل لهم : هذه بعث إليكم بها من العراق ، قال : فيذهب بها الرسول إليهم فيقول ما قال ، فيقولون : أما أنت فجزاك الله خيرا بصلتك قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما جعفر فحكم الله بيننا وبينه ، قال : فيخر أبو عبد الله ساجدا ويقول : اللهم أذل رقبتى لولد أبى) (۴) .

. . . . . .

(۱) فى رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، للسيد محسن الأمين ۲ : ۲۰۲ دار التعارف .

(۲) المصدر السابق ۴ : ۸۴ - دار صعب .

(۳) أصول الكافى ۲ : ۱۷۳ - ۱۷۴ / ۱۳ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه .

(۴) تنبيه الخواطر ، للأمير ورام ۲ : ۲۶۶ - دار صعب .

‹ صفحه ۵۸ ›

وقد حدد الإمام الصادق (عليه السلام) بدقة الملامح العبادية والاجتماعية للشيعة ، عندما خاطب أحد أصحابه بقوله : (يا جابر ، أيكتفى من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه ، ما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة ، والبر بالوالدين ، والتعهد للخيرات من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير . . .) (۱) . وعن محمد بن عجلان ، قال : كنت عند أبى عبد الله (عليه السلام) ، فدخل رجل فسلم ، فسأله (عليه السلام) : (كيف من خلفت من إخوانك ؟ قال : فأحسن الثناء وزكى وأطرى ، فقال له : كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم ؟ فقال : قليلة ، قال (عليه السلام) : وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم ؟ قال : قليلة ، قال : فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم فى ذات أيديهم ؟ فقال : إنك لتذكر أخلاقا قل ما هى فيمن عندنا ، قال : فقال (عليه السلام) : فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة ؟ !) (۲) .

وهكذا نجد أن مسألة التعاون والتضامن ، تتصدر سلم الأولوية فى اهتمامات الأئمة (عليهم السلام) الاجتماعية ، لكونها الضمان الوحيد والطريق الأمثل لإقامة بناء اجتماعى متماسك تغيب فيه عوامل الصراع والتناحر ، وتسود فيه عوامل الود والألفة .

والذى يثير الدهشة ويبعث على الاعجاب أن المجتمع العربى الجاهلى الذى كان ممزقا ، ولا تقيم له الأمم وزنا ، غدا بفضل الرسالة الإسلامية موحدا ، مهاب الجانب ، ذا عزة ومنعة ، يقول الإمام على (عليه السلام) :

. . . . . .

(۱) مجموعة ورام ۲ : ۱۸۵ دار صعب .

(۲) أصول الكافى ۲ : ۱۷۳ / ۱۰ كتاب الإيمان والكفر .

‹ صفحه ۵۹ ›

(. . والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع . .) (۱) .

رابعا : تغيير العادات والتقاليد الجاهلية

كان للعقيدة الأثر البالغ فى تغيير الكثير من العادات والتقاليد ، التى تمتهن فيها كرامة الإنسان ، وينتج عنها العنت والمشقة ، وقد قام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار بدور حضارى هام ، فى هذا المقام ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض ، ولا بأس بأن يتخلل عن مكانه) (۲) .

وسعى (صلى الله عليه وآله وسلم) لإشاعة وترسيخ عادات تربوية جديدة ، روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل منزلا قعد فى أدنى المجلس حين يدخل . .) وروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (إذا أتى أحدكم مجلسا فليجلس حيث انتهى مجلسه) (۳) .

فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل على تغيير العادات فى مختلف مجالات الحياة ، فى القيام والجلوس ، وفى المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك .

ولقد سار الإمام على (عليه السلام) وفق السنة النبوية ، فجاهد لتغيير ما بقى من عادات جاهلية ، لا تنسجم مع سماحة دين الإسلام ، ودعوته إلى نبذ التكلف والمظاهر الفارغة التى تشق على الناس ، وتضع الحواجز المصطنعة التى تحول دون التواصل فيما بينهم ، بين العالم والجاهل ،

---

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۲۰۳ / خطبة ۱۴۶ .

(۲) مكارم الأخلاق ، للطبرسى : ۲۶ .

(۳) المصدر السابق .

‹ صفحه ۶۰ ›

وبين الغنى والفقير ، وبين الحاكم والمحكوم ، ويكفينا الاستشهاد على ذلك ، أن الإمام على (عليه السلام) ، لما لقيه الدهاقون – فى الأنبار عند مسيره إلى الشام – فترجلوا له ، واشتدوا بين يديه ، قال (عليه السلام) : (ما هذا الذى صنعتموه ؟

فقالوا : خلق منا نعظم به أمراءنا ، فقال (عليه السلام) : والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم ! وإنكم لتشقون على أنفسكم فى دنياكم ، وتشقون به فى آخرتكم ، وما أخسر المشقة وراءها العقاب ، وأربح الدعة معها الأمان من النار) (۱) .

وله (عليه السلام) توصيات قيمة تسهم فى بناء الإنسان ، وتغرس فى سلوكه العادات الحسنة ، منها قوله (عليه السلام) : (أيها الناس ، تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) (۲) .

كل ذلك من أجل إجراء التغيير الاجتماعى المنشود ، ولا يخفى بأن البناء الاجتماعى بدون إجراء التغيير الداخلى فى نفوس وعادات الأفراد ، يصبح عبثيا كالبناء بدون قاعدة قال تعالى : * (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) * (۳) .

يقول العلامة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره ") : إن الدافع الذاتى هو مثار المشكلة الاجتماعية ، وأن هذا الدافع أصيل فى الإنسان ، لأنه ينبع من حبه لذاته ، وهنا يجئ دور الدين ، بوضع الحل الوحيد للمشكلة ، فالحل يتوقف على التوفيق بين الدوافع الذاتية والمصالح الاجتماعية العامة (" ۴) .

---

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۴۷۵ / حكم ۳۷ .

(۲) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۵۳۸ / حكم ۳۵۹ .

(۳) الرعد ۱۳ : ۱۱ .

(۴) اقتصادنا ، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر : ۳۲۴ ط ۱۱ - دار التعارف للمطبوعات .

‹ صفحه ۶۱ ›

الفصل الثالث البناء النفسى

[تمهيد]

إن لكل عقيدة أثرا فى نفس صاحبها ، يدفعه إلى نوع من الأعمال والتصرفات ، ولقد كانت لعقيدة الإيمان بالله فى المسلمين آثار فى النفس عميقة ، كان لها نتائجها العملية فى الحياة العامة ، يمكن الإشارة إليها - إجمالا - فى النقاط التالية : -

أولا : طمأنينة النفس :

[تمهيد]

إن الإنسان المتدين يجد فى العقيدة اطمئنانا على الرغم من عواصف الأحداث من حوله ، فهى تدفع عنه القلق والتوتر ، وتخلق له أجواء نفسية مفعمة بالطمأنينة والأمل ، حتى ولو كان يعيش فى بيئة غير مستقرة أو خطرة .

وتاريخ الإسلام يحدثنا بما لا يحصى من مصاديق ذلك ، فعلى الرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا يعيشون ظروفا صعبة ، حيث الحروب المتوالية التى أثارتها قريش وحلفاؤها ، وما صاحبها من مقاطعة اقتصادية وعزلة اجتماعية وضغوط نفسية ، إلا أنهم كانوا يتمتعون بمعنوية عالية ، ويندفعون للقتال بنفس مطمئنة إلى ثواب الله ورحمته .

عن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوم بدر : (قوموا لى جنة عرضها السماوات والأرض ، فقال عمير بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله ، جنة

‹ صفحه ۶۲ ›

عرضها السماوات والأرض ؟ ! قال : نعم ، قال : بخ بخ ! لا والله يا رسول

الله ، لا بد أن أكون من أهلها ، قال : فإنك من أهلها) ، فأخرج تميرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتل حتى قتل (۱) .

فالبيئة التى يتواجد فيها هذا المجاهد كانت خطرة ، فهو يعيش أجواء حرب بدر ، ولكن بيئته النفسية كانت سعيدة ، حيث يأمل العيش فى جنة عرضها السماوات والأرض فالمسلم بفضل عقيدة الإيمان بالله تعالى يشعر بالرضا والاطمئنان بما يقع فى محيطه من أحداث ، ويوطن نفسه على قضاء الله وقدره ، فالمصيبة التى تصيبه فى حاضره ، قد تتحول إلى بركة ، والقرآن الكريم ينمى هذا الاحساس فى نفس المؤمن قال تعالى :

* (. . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) * (۲) .

وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) تعمق هذا الشعور فى نفوس المسلمين ، فقد بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) كتابا إلى ابن عباس ، وكان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانتفاعى بهذا الكلام : (أما بعد ،

فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها) (۳) .

‹ صفحه ۶۳ ›

صحيح أن الإنسان العادى بطبعه يمتلكه اليأس والقنوط عند المصائب ، كما أشار القرآن صراحة لذلك بقوله : * (. . . وإن مسه الشر فيئوس قنوط) * (۱) . . * (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور) * (۲) ، ولكن الإنسان المؤمن المتسلح بالعقيدة وقور عند الشدائد ، صبور عند النوازل ، لا يتسرب الشك إلى نفسه : * (. . لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون) * (۳) .

يصف مولى الموحدين (عليه السلام) أولياء الله فيقول : (. . وإن صبت عليهم المصائب لجؤوا إلى الاستجارة بك ، علما بأن أزمة الأمور بيدك ، ومصادرها عن قضائك) (۴) .

والملاحظ أنه فى الوقت الذى يركز فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى توصياته على عدم اليأس من روح الله ، فإنه يؤكد فى تعاليمه التربوية العالية على

اليأس عما فى أيدى الناس ، لكى يكون الإنسان متكلا ـ على ربه ، ولا يكون كلا على غيره ، يقول (عليه السلام) : (الغنى الأكبر اليأس عما فى أيدى الناس) (۵) .

أساليب العقيدة فى مواجهة المصائب :

ضمن هذا السياق ، تخفف العقيدة فى نفوس معتنقيها من الضغوط

---

(۱) فصلت ۴۱ : ۴۹ .

(۲) هود ۱۱ : ۹ .

(۳) يوسف ۱۲ : ۸۷ .

(۴) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۳۴۹ .

(۵) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۵۳۴ .

‹ صفحه ۶۴ ›

والأزمات النفسية التى يتعرضون لها ، فتصبح ضعيفة الأثر والأهمية ، ضمن أساليب عديدة ، منها :

أ - بيان طبيعة الحياة الدنيا التى يعيش فيها الإنسان :

وهذه المعرفة سوف تظهر بصماتها واضحة فى وعيه وسلوكه ، فالعقيدة من خلال مصادرها المعرفية تبين طبيعة الدنيا وتدعوا إلى الزهد فيها .

يقول الإمام على (عليه السلام) : (أيها الناس ، انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها ، الصادفين عنها ، فإنها عما قليل تزيل الثاوى الساكن ، وتفجع المترف الآمن . . سرورها مشوب بالحزن . .) (۱) .

وقال أيضا : (. . . وأحذركم الدنيا ، فإنها دار شخوص ، ومحلة تنغيص ،

ساكنها ضاعن ، وقاطنها بائن ، تميد بأهلها ميدان السفينة . .) (۲) .

وكان من الطبيعى والحال هذه أن تحذر العقيدة من التعلق بأسباب الدنيا الفانية الذى ينتج آثارا سلبية تنعكس على نفس المسلم ، فعن علقمة ، عن عبد الله ، قال : نام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يا رسول الله ، لو

اتخذنا لك وطاء ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ما لى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) (۳) .

ويقول وصيه الإمام على (عليه السلام) : (وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة

وليست بدار نجعة ، قد تزينت بغرورها ، وغرت بزينتها ، دارها هانت على

ربها ، فخلط حلالها بحرامها ، وخيرها بشرها وحياتها بموتها ، وحلوها

---

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۱۴۸ خطبة / ۱۰۳ .

(۲) نهج البلاغة : ۳۱۰ .

(۳) سنن الترمذى ۴ : ۵۰۸ / ۲۳۷۷ باب ۴۴ - دار الفكر ط ۱۴۰۸ ه.

‹ صفحه ۶۵ ›

بمرها لم يصفها الله تعالى لأوليائه ، ولم يضن بها على أعدائه ، خيرها زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد ، وملكها يسلب ، وعامرها يخرب . فما خير دار تنقض نقض البناء ، وعمر يفنى فيها فناء الزاد ، ومدة تنقطع انقطاع السير . .) (۱) .

يقول الشيخ الديلمى : ما عبر أحد عن الدنيا كما عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله : (دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة ، لا تدوم أحوالها ، ولا تسلم نزالها ، أحوالها مختلفة ، وتارات متصرفة ، والعيش فيها مذموم ، والأمان فيها معدوم ، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها . . .) (۲) .

وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا الادراك العميق للدنيا إلى حذر شديد منها ، ويكفينا الاستدلال على ذلك : سأل معاوية ضرار بن ضمرة الشيبانى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال : أشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وهو قائم فى محرابه ، قابض على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : (يا دنيا ! يا دنيا ! ! إليك عنى ، أبى تعرضت ؟ ! أم إلى تشوقت ؟ ! لا حان حينك ، هيهات غرى غيرى ، لا حاجة لى فيك ، قد طلقتك ثلاثا ، لا رجعة فيها ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ، آه من قلة الزاد ، وطول الطريق ، وبعد السفر ، وعظيم المورد) (۳) .

. . . . . .

(۱) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۱۶۷ / خطبة ۱۱۳ .

(۲) إرشاد القلوب ، للديلمى ۱ : ۳۰ - منشورات الرضى - قم .

(۳) تنبيه الخواطر ، الأمير ورام ۱ : ۷۹ / باب العتاب .

‹ صفحه ۶۶ ›

ومن جملة تلك الشواهد ، نجد أن العقيدة تكشف طبيعة الدنيا وعاقبة من ينخدع بها أو يركن إليها ، وتبين قصور رؤية من ينشد الراحة التامة فيها ، عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لأصحابه : (لا تتمنوا المستحيل ، قالوا : ومن يتمنى المستحيل ؟ ! فقال (عليه السلام) : أنتم ، ألستم تمنون الراحة فى الدنيا ؟

قالوا : بلى ، فقال (عليه السلام) : الراحة للمؤمن فى الدنيا مستحيلة) (۱) .

ب - إن المصائب تستتبع أجرا وثوابا :

الأمر الذى يخفف من وقع المصائب على الإنسان ، فيواجهها بقلب صامد ، ونفس مطمئنة إلى ثواب الله ورحمته ، فلا تترك فى نفسه أثرا أكثر مما تتركه فقاعة على سطح الماء .

يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (المصائب مفاتيح الأجر) (۲) .

وكتب رجل إلى أبى جعفر (عليه السلام) يشكو إليه مصابه بولده ، فكتب إليه (عليه السلام) : (أما علمت أن الله يختار من مال المؤمن ومن ولده ونفسه ليأجره على ذلك) (۳) .

جإلفات نظر المسلم إلى المصيبة العظمى :

وهى مصيبته فى دينه ، مما يهون ويصغر فى نفسه المصائب الدنيوية الصغيرة ، وهى حالة امتصاص بارعة للضغوط النفسية تقوم بها العقيدة ، ويحتل هذا التوجه مركز الصدارة فى سيرة أهل البيت التربوية ، روى أنه رأى الصادق (عليه السلام) رجلا قد اشتد جزعه على ولده ، فقال (عليه السلام) : (يا هذا جزعت للمصيبة الصغرى ، وغفلت عن المصيبة الكبرى ، لو كنت لما صار إليه ولدك مستعدا

---

(۱) أعلام الدين ، للديلمى : ۲۷۸ .

(۲) بحار الأنوار ۸۲ : ۱۲۲ - عن مسكن الفؤاد .

(۳) بحار الأنوار ۸۲ : ۱۲۳ - عن مشكاة الأنوار : ۲۸۰ .

‹ صفحه ۶۷ ›

لما اشتد عليه جزعك ، فمصابك بتركك الاستعداد له ، أعظم من مصابك بولدك) (۱) .

وكان أبو عبد الله (عليه السلام) يقول عند المصيبة : (الحمد لله الذى لم يجعل مصيبتى فى دينى ، والحمد لله الذى لو شاء أن يجعل مصيبتى أعظم مما كانت ، والحمد لله على الأمر الذى شاء أن يكون فكان) (۲) .

من جميع ما تقدم ، نخلص إلى أن العقيدة تصوغ نفوسا قوية مطمئنة ، تواجه عواصف الأحداث بقلب صامد ومطمئن إلى قضاء الله وقدره ، وترسم العقيدة للإنسان خط سيره التكاملى ، وعليه فالإنسان بلا عقيدة كالسفينة بلا بوصلة ، سرعان ما تصطدم بصخور الشاطئ فتتحطم .

ثانيا : تحرير النفس من المخاوف :

[توضيح]

مما لا شك فيه ، أن الخوف يبدد نشاط الفرد ، ويشل طاقته الفكرية والجسمية ، وكان الإنسان الجاهلى فى خوف دائم من أخيه الإنسان ودسائسه ، ومن الطبيعة المحيطة به وكوارثها ، ومن الموت الذى لا سبيل له إلى دفعه ، ومن الفقر والجدب ، ومن المرض وما يرافقه من آلام ، وتخفف العقيدة من وطأة الاحساس بتلك المخاوف التى تشل طاقة الإنسان عن الحركة والانتاج ، وتجعله غرضا للهموم والهواجس .

الموت تحفة !

ينبه القرآن الكريم إلى حقيقة أزلية ، على الإنسان أن يوطن نفسه

---

(۱) روضة الواعظين ، للفتال النيسابورى : ۴۸۹ - منشورات الرضى - قم .

(۲) الكافى ، للكلينى ۳ : ۲۶۲ / ۴۲ باب النوادر .

‹ صفحه ۶۸ ›

عليها ، وهى : * (كل نفس ذائقة الموت) * (١) .

وعليه فلا بد مما ليس منه بد ، و الموت لا بد أن يدرك الحى يوما ما ، كما أدرك من قبله ، وهو شئ لا عاصم منه . . قال تعالى : * (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة . .) * (٢) . وقال : * (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت . .) * (٣) .

فالقرآن - إذن - يؤكد أن الموت لا بد منه ، ثم أنه أمر منوط بإذن الله تعالى وليس بيد غيره ، وهذه حقيقة لها انعكاسات إيحائية على نفس الإنسان ، بأن أى قوة أرضية أو سماوية لا تستطيع - مهما أوتيت من قوة - أن تسلب الحياة عن الإنسان قال تعالى : * (ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . .) * (۴) .

ولقد بين القرآن الكريم زيف مزاعم اليهود الذين كانوا مع حرصهم الشديد على الحياة يتصورون أنهم أولياء الله دون غيرهم ، فكشف عن زيف مزاعمهم بهذا التحدى الذى يخاطب دفائن النفوس ، ذلك أن المؤمن بالله حقا لا يخشى الموت إذا حل بساحته ، فالموت هو انتقال من دار فانية إلى دار باقية ، واليهود بما يمتازون به من نزعة مادية طاغية ، يخشون الموت ويتشبثون بالحياة ، ومن هنا واجههم القرآن الكريم بهذا التحدى البليغ قال تعالى : * (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله

---

(١) آل عمران ٣ : ١٨٥ .

(٢) النساء ۴ : ٧٨ .

(٣) الأحزاب ٣٣ : ١۶ .

(۴) آل عمران ٣ : ١۴٥ .

‹ صفحه ۶٩ ›

من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) * (١) .

ويقول الإمام على (عليه السلام) : (. . . فما ينجو من الموت من خافه ، لا يعطى البقاء من أحبه) (٢) . والمثير فى الأمر أن العقيدة فى الوقت الذى تخفف من خوف الإنسان من الموت ، تصور الموت للمؤمن كأنه تحفة ! ينبغى الإقدام عليه ، وفى ذلك يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (تحفة المؤمن الموت) وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن ، إذ لا يزال فيها فى عناء من رياضة نفسه ومقاساة شهواته ومدافعة الشيطان ، فالموت إطلاق له من العذاب ، والإطلاق تحفة فى حقه لما يصل إليه من النعيم الدائم (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) لأصحابه يوم عاشوراء : (صبرا يا كرام ! فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم ، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ . .) (۴) .

من جانب آخر ، تدعو مدرسة آل البيت (عليهم السلام) إلى ضرورة معرفة الموت ، فإن معرفة الشئ قد تبدد المخاوف منه ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (إذا هبت أمرا فقع فيه ، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه) (٥) ، وقد روى عن الإمام على بن محمد الهادى (عليه السلام) أنه قال لمريض من أصحابه ، عندما دخل عليه فوجده يبكى جزعا من الموت : (يا عبد الله ، تخاف من

---

(١) الجمعة ۶٢ : ۶ - ٧ .

(٢) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ٨١ / خطبة ٣٨ .

(٣) تنبيه الخواطر ، الأمير ورام ١ - ٢ : ٢۶٨ باب ذكر الموت .

(۴) معانى الأخبار ، للصدوق : ٢٨٨ - منشورات جماعة المدرسين - ط ١٣٧٩ ه.

(۵) نهج البلاغة : قصار الحكم / ۱۷۵ .

‹ صفحه ۷۰ ›

الموت لأنك لا تعرفه ، أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت ، وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك ، وأصابك قروح وجرب ، وعلمت أن الغسل فى حمام يزيل ذلك كله ، أما تريد أن تدخله ، فتغسل ذلك عنك أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك ؟ قال : بلى يا ابن رسول الله ، قال (عليه السلام) : فذاك الموت هو ذلك الحمام ، وهو آخر ما بقى عليك من تمحيص ذنوبك ، وتنقيتك من سيئاتك ، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته ، فقد نجوت من كل غم وهم وأذى ، ووصلت إلى كل سرور وفرح) ، فسكن الرجل واستسلم ونشط ، وغمض عين نفسه ، ومضى لسبيله (۱) .

ضمن هذا الإطار ، قيل للإمام الصادق (عليه السلام) : صف لنا الموت ، قال (عليه السلام) : (للمؤمن كأطيب ريح يشمه ، فينعس لطيبه ، وينقطع التعب والألم كله عنه ، وللكافر كلسع الأفاعى ولدغ العقارب أو أشد . .) (۲) .

هكذا تقدم العقيدة إشعاعا من الأمن يخفف من وطأة الموت ، فإنه للمؤمن تحفة وراحة . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (شيئان يكرهما ابن آدم : يكره الموت فالموت راحة للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب) (۳) .

والأئمة (عليهم السلام) يؤكدون على الاكثار من ذكر الموت ، لما فيه من آثار تربوية قيمة ، فهو يميت الشهوات فى النفس ، ويهون مصائب الدنيا التى تعصف بالإنسان مثل ريح السموم ، يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أكثروا

---

(۱) معانى الأخبار ، للصدوق : ۲۹۰ .

(۲) عيون أخبار الرضا ، لابن بابويه ۲ : ۲۴۸ – مؤسسة الأعلمى ط ۱ .

(۳) روضة الواعظين ، للفتال النيسابورى : ۴۸۶ فى ذكر الموت .

‹ صفحه ۷۱ ›

من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد فى الدنيا) (۱) .

ويقول الإمام على (عليه السلام) : (أكثروا ذكر الموت ، ويوم خروجكم من القبور ، وقيامكم بين يدى الله عز وجل تهون عليكم المصائب) (۲) .

ومن وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) : (يا بنى أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضى بعد الموت إليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك ، وشددت له أزرك ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك) (۳) .

وقال (عليه السلام) أيضا : (من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير) (۴) .

ونعود لنقول إن العقيدة تحرر النفوس من شبح الخوف من الموت من خلال التأكيد على أنه حقيقة لا بد منها ، يجب التسليم بها ، والتسالم معها عبر معرفة حقيقة الموت ، وأنه للمؤمن راحة ، وبدلا من نسيانه أو تناسيه ، يجب أن نديم ذكره لما فى ذلك من معطيات إيجابية قد أشرنا إليها فيما سبق .

الزرق مضمون لطالبه :

هناك خوف ينتاب الإنسان ، وينغص عليه حياته ، وهو الخوف من الفقر ، لكن العقيدة تبدد هذا الخوف من خلال التأكيد على حقيقة واضحة كالشمس فى رابعة النهار ، وهى أن مقادير الرزق بيد الله تعالى ، وقد ضمنها لعباده ، وعليه فلا مبرر لهذه المخاوف ، ومن يقرأ القرآن يجد آيات كثيرة ، تحث على إزالة أسباب الخوف من الفقر التى أدت بالجاهلى

---

(۱) تنبيه الخواطر ۱ : ۲۶۹ .

(۲) الخصال ، للصدوق ۲ : ۶۱۶ حديث الأربعمائة .

(۳) نهج البلاغة : ۴۰۰ كتاب ۳۱ .

(۴) روضة الواعظين : ۴۹۰ .

‹ صفحه ۷۲ ›

إلى قتل أبنائه قال تعالى : * (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) * (۱) . وقال تعالى : * (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) * (۲) .

وجاءت أحاديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) على هذا المنوال ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أبواب الجنة مفتحة على الفقراء والمساكين ، والرحمة نازلة على الرحماء ، والله راض عن الأسخياء) (۳) .

ويقول وصيه الإمام على (عليه السلام) : (. . عياله الخلائق ، ضمن أرزاقهم ، وقدر أقواتهم . .) (۴) .

من جهة أخرى ، قاموا بتصحيح مفهوم الناس عن الرزق ، صحيح أن الله تعالى قد ضمن أرزاق عباده ، ولكن لا ـ يعنى ذلك أنه يشجعهم على التواكل والكسل ، والقعود والابتعاد عن العمل ، وإنما ربط تعالى تحصيل الرزق بشرط السعى والطلب ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (اطلبوا الرزق فإنه مضمون لطالبه) (۵) .

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يضرب بالمر – أى المسحاة – ويستخرج الأرضين ، وأنه أعتق ألف مملوك من كد يده (۶) .

وكان (عليه السلام) يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى كلت يده ،

---

(۱) الذاريات ۵۱ : ۵۸ .

(۲) الإسراء ۱۷ : ۳۱ .

(۳) روضة الواعظين ، للفتال النيسابورى ۲ : ۴۵۴ .

(۴) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۱۲۴ / خطبة ۹۱ .

(۵) الارشاد ، للشيخ المفيد : ۱۶۰ – منشورات مكتبة بصيرتى – قم .

(۶) الكافى ۵ : ۷۴ / ۲ .

‹ صفحه ۷۳ ›

ويتصدق بالأجر ، ويشد على بطنه حجرا (۱) .

فلم يكن من عمله الشاق هذا ، حريصا على جمع المال لذاته ، فالإمام على (عليه السلام) لا تغره بيضاء ولا صفراء ، بل كان يطلب الرزق الحلال من حله وينفقه فى محله .

"ولما كانت النفوس مشغوفة بالمال ، مولعة بجمعه واكتنازه ، فحرى بالمؤمن الواعى المستنير ، أن لا ينخدع ببريقه ، ويغتر بمفاتنه ، وأن يتعظ بحرمان المغرورين به ، والحريصين عليه ، من كسب المثوبة فى الآخرة ، وإفلاسهم مما زاد عن حاجاتهم وكفافهم فى الدنيا ، فإنهم خزان أمناء ، يكدحون ويشقون فى ادخاره ثم يخلفونه طعمة سائغة للوارثين ، فيكون عليهم الوزر ولأبنائهم المهنى والاغتباط (۲") .

هكذا تستأصل العقيدة من النفوس جذور الخوف من الفقر ، وتجعله يسعى بكل اطمئنان لضمان متطلبات عيشه الكريم .

المرض يمحو الذنب . . ويستدعى الثواب ! من جانب آخر لطفت العقيدة من مخاوف الإنسان الدائمة من المرض من خلال التأكيد

على حقيقة بديهية ، هى إن كل جسم معرض للسقم ، يقول الإمام على (عليه السلام) : (لا ينبغى للعبد أن يثق بخصلتين : العافية والغنى .

بينما تراه معافى إذ سقم ، وبينما تراه غنيا إذ افتقر) (۳) .

---

(۱) شرح النهج ۱ : ۷ .

(۲) أخلاق أهل البيت ، للسيد مهدى الصدر : ۱۴۳ - دار الكتاب الاسلامى .

(۳) نهج البلاغة : ۵۵۱ حكم ۴۲۶ .

‹ صفحه ۷۴ ›

كما أكدت على أن المرض يسقط الذنب ، يقول الإمام السجاد (عليه السلام) : (إن المؤمن إذا حم حمى واحدة ، تناثرت الذنوب منه كورق الشجر . .) (۱) .

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : (صداع ليلة يحط كل خطيئة إلا الكبائر) (۲) .

وإضافة لذلك فإن فيه الثواب الجزيل ما يخفف من وطأته على النفوس ، يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (عجبت من المؤمن وجزعه من السقم ، ولو يعلم ما له فى السقم من الثواب ، لأحب أن لا يزال سقيما حتى يلقى ربه عز وجل) (۳) .

ويحدد الإمام الرضا (عليه السلام) فلسفة المرض بقوله : (المرض للمؤمن تطهير ورحمة ، وللكافر تعذيب ولعنة ، وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب) (۴) .

ونعود لنقول بأن الله لم يجعل المرض عبثا ، بل جعله وسيلة لامتحان الإنسان ومعرفة صبره على النوازل ، لذلك امتحن به أنبياءه والصالحين من عباده ، فأيوب (عليه السلام) - كما هو معروف - كان ابتلاؤه فى جسده : (ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما ، وهو فى ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله فى ليله ونهاره وصباحه ومسائه ، وطال مرضه حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس ، وأخرج من بلده ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته التى كانت ترعى له حقه

---

(۱) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، للشيخ الصدوق : ۲۲۸ - مكتبة الصدوق - طهران .

(۲) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، للشيخ الصدوق : ۲۳۰ .

(۳) كتاب التوحيد ، للصدوق : ۴۰۰ - مؤسسة النشر الإسلامى - قم .

(۴) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، للصدوق : ۲۲۹ باب ثواب المرض .

‹ صفحه ۷۵ ›

وتعرف قديم إحسانه إليها . . ولم يزد هذا كله أيوب (عليه السلام) إلا صبرا واحتسابا وحمدا وشكرا ، حتى إن المثل ليضرب بصبره) (۱) . فكان نتيجة هذا الصبر والاحتساب أن رد الله تعالى إليه كل ما أخذ منه كرما وإحسانا .

والعقيدة فى الوقت الذى تأمر المسلم بالتزام الصبر ، تنصحه بعدم الشكوى من المرض ، فالشكوى تعنى ضمن ما تعنيه ، اتهام الله تعالى فى قضائه ، كما أنها تحط من قدر الإنسان فى نظر الناس ، وتبعث على الشماتة به أو التهكم عليه ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (كان لى فيما مضى أخ فى الله ، وكان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه . . وكان لا يشكو وجعا إلا عند برئه . .) (۲) .

ولا بد من الإشارة إلى أن العقيدة فى الوقت الذى تبدد غيوم المخاوف فى نفس الإنسان ، تنمى فيه شعور الخوف من الله تعالى وحده باعتباره السبيل للتحرز من جميع المخاوف ، وتحذر من عصيانه ، وتلوح بشدة انتقامه ، والقرآن الكريم فى آيات كثيرة يعمق من شعور النفس بالخوف من الله تعالى ، منها : * (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) * (۳) .

وقال تعالى : * (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى) * (۴) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ما سلط الله على ابن آدم إلا من خافه ابن آدم ،

---

(۱) البداية والنهاية ، لابن الأثير الدمشقى ۱ : ۲۵۴ / ۱ - دار إحياء التراث العربى ۱۴۰۸ ط ۱ .

(۲) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۵۲۶ .

(۳) الأنعام ۶ : ۱۵ .

(۴) النازعات ۷۹ : ۴۰ - ۴۱ .

‹ صفحه ۷۶ ›

ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله ما سلط الله عليه غيره . .) (۱) .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا : (طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس) (۲) .

وبطبيعة الحال إن لهذا النوع من الخوف آثارا تربوية مهمة تعود لصالح الفرد ، وفى هذا الصدد ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (من عرف الله خاف

الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) (۳) .

وتترتب عليه آثار اجتماعية أيضا حيث إنه يدفع الفرد إلى مد يد العون إلى الآخرين ، قال تعالى : * (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) * (۴) .

وصفوة القول ، لقد غيرت العقيدة النفوس ، وفتحت لها آفاقا واسعة بتحريرها من مخاوفها ، كما أوصلت حبلها بخالقها ، وأشعرتها بنعمائه ، وخوفتها من أليم عقابه .

ثالثا : معرفة النفس

اشارة

من معطيات العقيدة ، أنها تدفع الإنسان المسلم إلى معرفة نفسه ، فلا يمكن السمو بالنفس دون معرفة طبيعتها ، وهذه المعرفة هى خطوة أولية للسيطرة عليها وكبح جماحها ، يقول الإمام الباقر (عليه السلام) : (. . لا معرفة

---

(۱) كنز العمال ۳ : ۱۴۸ / ۵۹۰۹ .

(۲) تحف العقول ، لابن شعبة الحرانى : ۲۸ - مؤسسة الأعلمى ط ۵ .

(۳) أصول الكافى ۲ : ۶۸ / ۴ باب الخوف والرجاء .

(۴) الإنسان ۷۶ : ۸ - ۱۰ .

‹ صفحه ۷۷ ›

كمعرفتك بنفسك . .) (۱) .

ثم إن هناك علاقة ترابطية وثيقة بين معرفة الله ومعرفة النفس ، فمن خلال معرفة الإنسان لنفسه وطبيعتها وقواها ، يستطيع التعرف على خالقها ويقدر عظمته ، ففى الحديث الشريف : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وبالمقابل فإن نسيان الله تعالى يؤول إلى نسيان النفس : * (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم . .) * (۲) .

دور العقيدة فى تعريف الإنسان بنفسه :

مما لا ـ شك فيه أن العقيدة - عبر مصادرها المعرفية ورموزها - قامت بدور كبير فى الكشف عن طبيعة النفس ، وشخصت بدقة متناهية أمراضها والآثار الناجمة عنها .

فالقرآن الكريم يقر صراحة بأن النفس أمارة بالسوء : * (وما أبرئ نفسى

إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى . .) * (٣) .

كما يقر القرآن أيضا ، بأن النفس شحيحة قال تعالى : * (. . وأحضرت الأنفس الشح . .) * (۴) ، وقال : * (. . من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) * (۵) .

وهناك طائفة من الأحاديث تسلط الضوء على طبيعة النفس ، وتقدم

---

(١) تحف العقول : ٢٠٨ من وصية الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر الجعفى .

(٢) الحشر ۵۹ : ١٩ .

(٣) يوسف ١٢ : ۵٣ .

(۴) النساء ۴ : ١٢٨ .

(۵) الحشر ۵۹ : ٩ .

‹ صفحه ٧٨ ›

الرؤية العلاجية لأمراضها ، منها : ما كتبه الإمام على (عليه السلام) إلى الأشتر النخعى لما ولاه مصر ، وجاء فيه : (. . وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس أمارة بالسوء ، إلا ما رحم الله . .) (١) .

ومن خطبة له (عليه السلام) ضمنها مواعظ للناس ، جاء فيها : (. . نستعينه من هذه النفوس البطاء عما أمرت به ، السراع إلى ما نهيت عنه . .) (٢) .

ويقول (عليه السلام) أيضا : (النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب ، والنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة ، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة ، فمتى أطلق عنانها فهو شريك فى فسادها ، ومن أعان نفسه فى هوى نفسه فقد أشرك نفسه فى قتل نفسه) (٣) .

على هذا الصعيد لا بد من الإشارة إلى أن الأمراض النفسية إذا لم تعالج ، فإنها قد تؤدى إلى عواقب وخيمة ، فعلى سبيل الاستشهاد نجد أن الفتنة الكبرى التى حصلت للمسلمين فى السقيفة ، عندما أقصيت القيادة الشرعية عن مركز القرار ، كانت جذورها نفسية ، ويكفينا الاستدلال على ذلك بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال (عليه السلام) : (. . . أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا ، والأشدون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نوطا ، فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم الله) (۴) .

---

(١) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۴٢٧ كتاب ۵٣ .

(٢) نهج البلاغة : ١٦٩ / خطبة ١١۴ .

(٣) ميزان الحكمة ١ : ١۶ عن مشكاة الأنوار .

(۴) نهج البلاغة : ٢٣١ .

‹ صفحه ۷۹ ›

فالشح الكامن فى نفوس البعض كان السبب الأساس فى أول وأعظم انحراف شهدته المسيرة الإسلامية بعد ساعات قليلة من رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . لذلك كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مع عصمتهم المحققة ، يلجؤون إلى الله تعالى بالدعاء لكى يقيهم هذا المرض النفسى الخطير ، فعن الفضل بن أبى قرة قال : رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) يطوف من أول الليل إلى الصباح وهو يقول : (اللهم قنى شح نفسى ، فقلت : جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء ؟ قال (عليه السلام) : وأى شئ أشد من شح النفس ، إن الله يقول : * (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) *) (۱) .

رابعا : السيطرة على النفس

اشارة

منهج العقيدة فى تربية النفس ، أنها تدعو إلى عدم كبت رغباتها لأن الكبت يقتل حيويتها ، ويبدد طاقتها ، فلا تعمل ولا تنتج ، وفى الوقت ذاته لا تشجع العقيدة على إطلاق رغباتها بلا ضوابط ، بل تحث على اتباع سياسة حكيمة معها ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (سياسة النفس أفضل سياسة) (۲) .

وعملية السيطرة على النفس تتحقق من خلال ضبط رغباتها وتوجيه نزواتها نحو الاعتدال ، وتتحقق أيضا من خلال محاسبتها ، قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) : (ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم ، فإن عمل حسنة استزاد الله تعالى ، وإن عمل سيئة استغفر الله تعالى منها وتاب إليه) (۳) .

---

(۱) ميزان الحكمة ۵ : ۳۳ عن نور الثقلين ۵ : ۲۹۱ .

(۲) ميزان الحكمة ۱۰ : ۱۳۴ عن غرر الحكم .

(۳) أخلاق أهل البيت ، للسيد مهدى الصدر : ۳۵۱ . والحديث فى الوافى ۳ : ۶۲ عن الكافى .

‹ صفحه ۸۰ ›

ولا بد من الإشارة إلى أن العقيدة لا تحبذ اتباع الوسائل الملتوية من أجل السيطرة على النفس ، فعن طلحة قال : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ فى الرمضاء ، وكان يقول لنفسه : ذوقى ، وعذاب جهنم أشد حرا ، أجيفة بالليل بطالة بالنهار ؟ !

قال : فبينا هو كذلك إذ أبصره النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ظل شجرة فأتاه ، فقال : غلبتنى نفسى ، فقال له النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ألم يكن لك بد من الذى صنعته ؟) (۱) .

من هذا التوجه النبوى ، نجد أنه فى الوقت الذى تشجع فيه العقيدة كل محاولة صادقة من الإنسان للسيطرة على نفسه ، نجد أيضا أنها لا تحبذ اتباع الأساليب غير العقلانية للسيطرة على النفس ، فالنفس تحتاج إلى صبر وسياسة طويلة ورياضة خاصة لتقلع عن ضراوة عاداتها ، كتلك الرياضة التى أقسم أمير المؤمنين (عليه السلام) على اتباعها مع نفسه : (. . . وأيم الله – يمينا أستثنى فيها بمشيئة الله – لأروضن نفسى رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما ، وتقنع بالملح مأدوما . . .) (۲) .

وإن الإنسان ليقف مبهورا أمام قدرة الإمام (عليه السلام) فى السيطرة على نفسه ، رغم أن الأموال كانت تجبى إليه من مختلف بلدان الخلافة الإسلامية أيام خلافته ، ولقد أبر بقسمه الذى قطعه على نفسه ، عن حبة العرنى قال : أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) بخوان فالوذج فوضع بين يديه ونظر إلى صفائه وحسنه فوجى بإصبعه فيه حتى بلغ أسفله ثم سلها ولم يأخذ منه شيئا ، وتلمظ إصبعه وقال : (إن الحلال طيب ، وما هو بحرام ، ولكنى أكره أن أعود

---

(۱) المحجة البيضاء ، للمحقق الكاشانى ۸ : ۶۸ – مؤسسة الأعلمى ط ۲ .

(۲) نهج البلاغة ، صبحى الصالح : ۴۱۹ .

‹ صفحه ۸۱ ›

نفسى ما لم أعودها ، ارفعوه عنى) فرفعوه (۱) .

وكان (عليه السلام) يجعل جريش الشعير فى وعاء ويختم عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال (عليه السلام) : (أخاف هذين الولدين أن يجعلا فيه شيئا من زيت أو سمن) (۲) .

الخوف والرجاء :

مما يمكن التأكيد عليه أن فى النفس خطان متقابلان هما الخوف والرجاء ، والعقيدة تعمد إلى كلا الخطين ، فتبدد عن النفس كل خوف باطل وكل رجاء منحرف ، وبدلا من ذلك تنمى الخوف من الله من جانب ، ورجاء ثوابه من جانب آخر قال تعالى : * (. . . يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه . . .) * (۳) ، فليست نظرتها أحادية الجانب كأن تركز على جانب الخوف فتؤيس الإنسان من رحمة الله ، أو تركز – بالمقابل – على الرجاء فتضعف فى نفسه الخشية من الله .

يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لو تعلمون قدر رحمة الله لاتكلتم عليها وما عملتم إلا قليلا ، ولو تعلمون قدر غضب الله لظننتم بأن لا تنجوا) (۴) .

ويقول وصيه الإمام على (عليه السلام) : (إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه ، وإن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله) (۵) .

---

(۱) وسائل الشيعة ۱۶ : ۵۰۸ – دار إحياء التراث العربى .

(۲) وسائل الشيعة ۱۶ : ۵۰۹ .

(۳) الزمر ۳۹ : ۹ .

(۴) كنز العمال ۳ : ۱۴۴ / ۵۸۹۴ .

(۵) نهج البلاغة : ۳۸۴ .

‹ صفحه ۸۲ ›

وتجدر الإشارة إلى أن الناس " يختلفون فى طباعهم وسلوكهم اختلافا كبيرا ، فمن الحكمة فى إرشادهم وتوجيههم ، رعاية ما هو الأجدر بإصلاحهم من الترجى والتخويف فمنهم من يصلحه الرجاء ، وهم العصاة النادمون على ما فرطوا فى الآثام ، فحاولوا التوبة إلى الله ، بيد أنهم قنطوا من عفو الله وغفرانه ، لفداحة جرائمهم ، وكثرة سيئاتهم ، فيعالج والحالة هذه قنوطهم بالرجاء بعظيم لطف الله ، وسعة رحمته وغفرانه .

أما الذين يصلحهم الخوف : فهم المردة العصاة ، المنغمسون فى الآثام ، والمغترون بالرجاء ، فعلاجهم بالتخويف والزجر العنيف ، بما يهددهم من العقاب الأليم ، والعذاب المهين (" ۱) .

وكان لأتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين سكن خوف الله تعالى فى نفوسهم وانعكس على جوارحهم ، وزرع رجاؤه فى قلوبهم ، أروع الأمثلة فى هذا المجال ، فروى عن أبى ذر (رحمه الله) أنه بكى من خشية الله حتى اشتكى بصره ، فقيل له لو دعوت الله يشفى بصرك ؟ ! ، فقال : إنى عن ذلك مشغول ، وما هو أكبر همى . قالوا : وما شغلك عنه ؟ ! قال : العظيمتان : الجنة والنار (۲

) .

من جانب آخر ينمى رواد هذه المدرسة الإلهية شعور الرجاء فى النفوس ، فمن وصايا أمير المؤمنين لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) : (أى بنى ، لا تؤيس مذنبا ، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير ، وكم من مقبل على عمل مفسد من آخر عمره ، صائر إلى النار ، نعوذ بالله منها) (۳) .

---

(۱) أخلاق أهل البيت ، للسيد مهدى الصدر : ۱۲۹ – دار الكتاب الاسلامى .

(۲) روضة الواعظين : ۲۸۵ فى فضائل أبى ذر (رضى الله عنه) .

(۳) تحف العقول : ۶۶ – مؤسسة الأعلمى ط ۵ .

‹ صفحه ۸۳ ›

الفصل الرابع البناء الأخلاقى

[تمهيد]

العقيدة تشكل مرتكزا متينا للأخلاق ، لأنها تخلق الواعز النفسى عند الإنسان للتمسك بالقيم الأخلاقية السامية ، على العكس من العقائد الوضعية التى تساير شهوات الإنسان ، وتنمى بذور الأنانية المغروسة فى نفسه .

والأخلاق تحظى بأهمية استثنائية فى العقيدة الإسلامية ، قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (۱) . وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا : (الخلق الحسن نصف الدين ، وقيل له : ما أفضل ما أعطى المرئ المسلم ؟ قال : الخلق الحسن) (۲) .

الإسلام يربط بين الدين الحق والأخلاق ، مثل هذه الرؤية تتوضح خطوطها فى أن الدين يحث على الأخلاق الحسنة ويقوم بتهذيب الطباع ويجعل ذلك تكليفا فى عنق الفرد يستتبع الثواب أو العقاب ، وعليه فلم يقدم الدين توجهاته الأخلاقية المثالية بصورة مجردة عن المسؤولية ، وإنما جعل الأخلاق نصف الدين ، لأن الدين اعتقاد وسلوك . والأخلاق تمثل الجانب السلوكى للفرد .

.....

(۱) كنز العمال ۱۱ : ۲۴۰ / ۳۱۹۶۹ .

(۲) روضة الواعظين ، للفتال النيسابورى : ۳۷۶ – منشورات الرضى – قم .

‹ صفحه ۸۴ ›

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : (إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) (۱) .

جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين يديه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (حسن الخلق . ثم أتاه من قبل شماله فقال : ما الدين ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : حسن الخلق . ثم أتاه عن يمينه فقال : ما الدين ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

حسن الخلق ، ثم أتاه من ورائه فقال : ما الدين ؟ فالتفت إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال :

أما تفقه الدين ؟ هو أن لا تغضب) (۲) .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه) (۳) .

يقول العلامة الطباطبائى " : إن الأخلاق لا تفى بإسعاد المجتمع ولا تسوق الإنسان إلى صلاح العمل إلا إذا اعتمدت على التوحيد ،

وهو الإيمان بأن للعالم – ومنه الإنسان – إلها واحدا سرمديا لا يعزب عن علمه شئ ، ولا يغلب فى قدرته ، خلق الأشياء على أكمل نظام لا لحاجة منه إليها وسيعيدهم إليه فيحاسبهم فيجزى المحسن بإحسانه ويعاقب المسئ بإساءته ثم يخلدون منعمين أو معذبين .

ومن المعلوم أن الأخلاق إذا اعتمدت على هذه العقيدة لم يبق للإنسان هم إلا مراقبة رضاه تعالى فى أعماله ، وكانت التقوى رادعا داخليا له عن ارتكاب الجرم ، ولولا ارتضاع الأخلاق من ثدى هذه العقيدة – عقيدة التوحيد – لم يبق للإنسان غاية فى أعماله الحيوية إلا التمتع بمتاع

---

(۱) أصول الكافى ۲ : ۹۹ / ۱ كتاب الإيمان والكفر .

(۲) المحجة البيضاء ۵ : ۸۹ .

(۳) تحف العقول : ۲۰۰ .

‹ صفحه ۸۵ ›

الدنيا الفانية والتلذذ بلذائذ الحياة المادية (" ۱) .

إن العقائد الالحادية بإزالتها من النفوس البشرية شعور التعلق بالخالق الكامل ، والمثل الأعلى المطلق ، والشعور برقابته وحسابه والمسؤولية اتجاهه ، أزالت الركيزة الأساسية للأخلاق ، ولم تستطع أن تعوض عنها بركيزة أخرى فى مثل قوتها .

الأخلاق ضرورة اجتماعية ، فهى بمثابة صمام أمان أمام نزعة الشر الكامنة فى الإنسان ، والتى تدفعه لمد خيوط الأذى لأبناء جنسه ، وعليه فالبناء الاجتماعى بدون منظومة الأخلاق كالبناء على كثيب من الرمال ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لو كنا لا نرجو جنة ، ولا نخشى نارا ، ولا ثوابا ولا عقابا ، لكان ينبغى لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاح) (۲) .

أساليب العقيدة فى بناء الإنسان أخلاقيا :

[توضيح]

لما كانت قضية الأخلاق تحظى بأهمية استثنائية فى توجهات العقيدة الإسلامية ، نجد أنها اتبعت أساليب وطرق عدة متضافرة كبناء يتصل بعضه ببعض ، تشكل بمجموعها السور الوقائى الذى يحمى الإنسان من الانحدار والسقوط الأخلاقى ، ويمكن إجمال هذه الأساليب ، بالنقاط الآتية :

أولا : تحديد العقيدة للمعطيات الأخروية للأخلاق :

فمن اتصف بالأخلاق الحسنة وعدته بالثواب الجزيل والدرجات

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ، العلامة الطباطبائى ۱۱ : ۱۵۷ – مؤسسة الأعلمى ط ۲ .

(۲) مستدرك الوسائل ۲ : ۲۸۳ .

‹ صفحه ۸۶ ›

الرفيعة ، ومن ساء خلقه وأطلق العنان لنفسه وعدته بالعقاب الأليم .

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة) (۱) .

وقال أيضا : (إن حسن الخلق يبلغ درجة الصائم القائم) (۲) .

وقال موصيا : (يا بنى عبد المطلب ، أفشوا السلام وصلوا الأرحام ،

وأطعموا الطعام ، وطيبوا الكلام تدخلوا الجنة بسلام) (۳) .

وقال أيضا : (إن الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد . .) (۴) .

وفى هذا السياق ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الله تبارك وتعالى ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد فى سبيل الله يغدو عليه ويروح) (۵) .

ثم إن هناك تلازما بين قبول الأعمال عموما والعبادية منها على وجه الخصوص وبين الأخلاق ، فقد روى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع امرأة تسب جارتها وهى صائمة ، فدعا بطعام فقال لها : (كلى ! فقالت إنى صائمة ! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : كيف تكونين صائمة وقد سببت جارتك . . ؟ !) (۶) .

---

(۱) المحجة البيضاء ۵ : ۹۳ .

(۲) إرشاد القلوب ۱ - ۲ : ۱۳۳ - منشورات الرضى - قم .

(۳) إرشاد القلوب ۱ - ۲ : ۱۳۳ .

(۴) أصول الكافى ۲ : ۱۰۰ / ۷ كتاب الإيمان والكفر .

(۵) أصول الكافى ۲ : ۱۰۱ / ۱۲ كتاب الإيمان والكفر .

(۶) الأخلاق ، للسيد عبد الله شبر : ۷۰ - منشورات مكتبة بصيرتى - قم .

‹ صفحه ۸۷ ›

ثانيا : بيان العقيدة للمعطيات الدنيوية للأخلاق :

فمن يتصف بالأخلاق الحسنة ، يستطيع التكيف والمواءمة مع أبناء جنسه ، ويعيش قرير العين ، مطمئن النفس ، هادئ البال ، أما من ينفلت من عقال القيم والمبادئ الأخلاقية ، فسوف يتخبط فى الظلام ، ويعيش القلق والحيرة فيعذب نفسه ويكون ممقوتا من قبل أبناء جنسه ، ويدخل فى متاهات لا تحمد عقباها .

يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (حسن الخلق يثبت المودة) (۱) . وقال وصيه الإمام على (عليه السلام) : (. . وفى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) (۲) . وقال الإمام الصادق (عليه السلام) موصيا : (وإن شئت أن تكرم فلن ، وإن شئت أن تهان فاخشن) (۳) ، وقال أيضا (عليه السلام) : (البر وحسن الخلق يعمران الديار ، ويزيدان فى الأعمار) (۴) .

وبالمقابل فإن للأخلاق السيئة معطيات سلبية يجد الإنسان آثارها فى دار الدنيا ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من ساء خلقه عذب نفسه) (۵) ، وقال (عليه السلام) لسفيان الثورى الذى طلب منه أن يوصيه : (لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا خلة لمختال ، ولا سؤدد لسئ الخلق) (۶) .

---

(۱) تحف العقول : ۳۸ .

(۲) تحف العقول : ۹۸ .

(۳) تحف العقول : ۳۵۶ .

(۴) أصول الكافى ۲ : ۱۰۰ / ۸ كتاب الإيمان والكفر .

(۵) أصول الكافى ۲ : ۳۲۱ / ۴ كتاب الإيمان والكفر .

(۶) فى رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، للسيد محسن الأمين ۴ : ۶۹ عن تحف العقول .

‹ صفحه ۸۸ ›

مما تقدم اتضح أن العقيدة ترغب الإنسان بالتحلى بالأخلاق الحميدة من خلال إبرازها للمعطيات الإيجابية - الأخروية والدنيوية- التى سيحصل عليها إذا سار فى طريق التزكية ، وبالمقابل تردعه عن الأخلاق السيئة من خلال بيان الآثار السلبية - الأخروية والدنيوية - المترتبة عليها .

ثالثا : تقديم التوصيات والنصائح :

تقدم العقيدة - من خلال مصادرها المعرفية - التوصيات القيمة فى هذا الصدد ، التى تزرع فى الإنسان براعم الأخلاق الحسنة ، وتستأصل ما فى نفسه من قيم وأخلاق فاسدة .

من كتاب النبوة عن ابن عباس عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (أنا أديب الله ، وعلى أديبى ، أمرنى ربى بالسخاء والبر ، ونهانى عن البخل والجفاء ، وما من شئ أبغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق ، وإنه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل) (۱) .

وقال وصيه الإمام على (عليه السلام) : (. . روضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة ، فإن العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (۲) .

وقال أيضا موصيا : (. . عود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه ، فإن الخير عادة) (۳) .

وقال (عليه السلام) : (. . وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق

---

(۱) مكارم الأخلاق ، للطبرسى : ۱۷ .

(۲) الخصال ، للصدوق ۲ : ۶۲۱ حديث الأربعمائة .

(۳) بحار الأنوار ۷۷ : ۲۱۳ عن كشف المحجة لثمرة المهجة : ۱۵۷ الفصل ۱۵۴ - طبع النجف الأشرف .

‹ صفحه ۸۹ ›

الدنية فإنها تضع الشريف وتهدم المجد) (۱) .

من هذه الشواهد المنتخبة ، نستطيع القول بأن العقيدة تقدم نصائحها وتوصياتها القيمة مدعمة بالمعطيات والدلائل المقنعة ، لتشكل جدارا من المنعة يحول دون جنوح الإنسان المسلم إلى هاوية الأخلاق السيئة .

رابعا : أسلوب الأسوة الحسنة :

وهو أحد الأساليب التربوية للعقيدة ، تربط الأفراد المنتسبين إليها برموزها ، لكونهم التجسيد المثالى أو الكامل لتوجهاتها ، وهم المنارة التى تبعث أنوارها ، وعليه فهى تحث الأفراد على الاقتداء بهم بغية التأثر بأخلاقهم والتزود من علومهم .

قال تعالى : * (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . .) * (۲) . لأن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هى التجسيد الواقعى الكامل للرسالة ، ولما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما وصفه القرآن الكريم - يمثل قمة فى مكارم الأخلاق : * (وإنك لعلى خلق عظيم) * (۳) توجب على المسلمين أن يدرسوا أخلاقه ويهتدوا بسنته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

كـان رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) يسـتمد خلقه من الله تعـالى ومن كتابه الكريم ، قال تعالى : * (خـذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) * (۴) .

وروى أنه لما نزلت هذه الآيۀ الجامعۀ لمكارم الأخلاق ، سأل

---

(۱) بحار الأنوار ۷۸ : ۵۳ عن الغرر والدرر ، للآمدى .

(۲) الأحزاب ۳۳ : ۲۱ .

(۳) القلم ۶۸ : ۴ .

(۴) الأعراف ۷ : ۱۹۹ .

‹ صفحه ۹۰ ›

الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) جبرئيل (عليه السـلام) عن ذلك فقال : (لا أدرى حتى أسأل العالم ثم أتاه فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) (۱) .

لقـد دعـا الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) إلى التحلى بمكـارم الأخلاـق كـالتواضع والجود والأمانـۀ والحياء والوفاء . . . وما إلى ذلك ، كما نهى عن مساوئ الأخلاق كالبخل والحرص والغدر والخيانۀ والغرور والكذب والحسد والغيبۀ .

وهكـذا جهـد لتقويم كل خلق شائن ، والشواهـد كثيرۀ ، لا يسع المجال لها ، قال الإمام على (عليه السـلام) : (ولقد كان (صـلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ، ويجلس جلسۀ العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه) (۲) .

فالرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وهو الرمز الأكبر للعقيدۀ الإسلاميۀ ، يحرص أشد الحرص على هدايۀ الناس إلى سواء السبيل ، لأن عمليـۀ البناء الحضارى للإنسان تصـبح عبثا لا طائل تحته من دون عمليۀ التوجيه والهدايۀ . وأهل البيت (عليهم السـلام) هم نجوم الهدايۀ الأبديۀ لهذه الأمۀ ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

(. . ألا إن مثل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم . .) (۳) .

والهدايۀ – بلا شك ولا شبهۀ تستلزم النجاۀ – هى الغايۀ المنشودۀ للإنسان المسلم ، ومن هنا يكمن المعنى العميق ، والتشبيه البليغ ، فى حـديث الرسول الأـكرم (صـلى الله عليه وآله وسـلم) : (إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سـفينۀ نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب

---

(۱) مجمع البيان ، للطبرسى ۳ : ۸۹ – منشورات مكتبۀ الحياۀ عام ۱۹۸۰ م .

(۲) نهج البلاغۀ ، صبحى الصالح : ۲۲۸ / خطبۀ ۱۶۰ .

(۳) شرح نهج البلاغۀ ، لابن أبى الحديد ۷ : ۸۴ .

‹ صفحه ۹۱ ›

حطۀ فى بنى إسرائيل من دخله غفر له) (۱) .

وصـفوۀ القول ، إن لأهل البيت (عليهم السلام) دورا كبيرا فى بناء الإنسان المسلم ، وإنقاذه من شتى أنواع الانحدار والضلال وليصل به إلى شاطئ النجاۀ .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (انظروا أهل بيت نبيكم ، فالزموا سمتهم ، واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم فى ردى . .) (۲) ، وقال (عليه السلام) أيضا : (نحن النمرقۀ الوسطى بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالى) (۳) .

ولقد سار الأئمۀ الأطهار (عليهم السـلام) على نهج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته ، فقاموا بدور حضارى مشهود فى إشاعۀ

وترسيخ الأخلاق الفاضلة ، والردع عن الأخلاق الذميمة ، وكانوا يركزون على الجوهر بدلا من المظهر ، ويعتبرون تحلية الجوانح بالأخلاق الفاضلة أفضل وأولى من تحلية الجوارح بالملابس الفاخرة ، فأصبح سلوكهم لنا أسوة ومواقفهم قدوة ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (خطب على (عليه السلام) الناس وعليه إزار كرباس غليظ ، مرقوع بصوف ، فقيل له فى ذلك ، فقال : يخشع القلب ، ويقتدى به المؤمن) (۴) .

والباحث يجد أن قضية الأخلاق قد احتلت مساحة كبيرة من آثار أهل البيت (عليهم السلام) كنهج البلاغة والصحيفة السجادية وغيرهما لما لهذه القضية الجوهرية من دور مهم فى البناء التربوى للإنسان المسلم ، عن جراح

---

(۱) المراجعات ، للسيد عبد الحسين شرف الدين : ۲۳ المراجعة الثامنة ، وفى هامش (۳۷) أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد .

(۲) شرح النهج ، لابن أبى الحديد ۷ : ۷۶ .

(۳) شرح النهج ۱۸ : ۲۷۳ .

(۴) مكارم الأخلاق ، للطبرسى : ۱۱۳ .

‹ صفحه ۹۲ ›

المدائنى أنه قال : قال لى أبو عبد الله (عليه السلام) : (ألا أحدثك بمكارم الأخلاق ؟ الصفح عن الناس ، ومواساة الرجل أخاه فى ماله ، وذكر الله كثيرا) (۱) . وفى الوقت الذى يردع فيه آل البيت (عليهم السلام) كل انحراف أخلاقى ، فإنهم يسترون على الناس معائبهم ، ولا يستغلون ذلك ذريعة للتشهير بهم والنيل منهم ، فمن كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر لما ولاه مصر : (وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنأهم عندك ، أطلبهم لمعائب الناس ، فإن فى الناس عيوبا ، الوالى أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك . . فاستر العورة ما استطعت . .) (۲) .

وكانوا يتبعون أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، فعن الحسين بن على (عليهما السلام) أنه قال لرجل اغتاب رجلا : (يا هذا كف عن الغيبة فإنها أدام كلاب النار) (۳) .

وقال رجل للإمام على بن الحسين (عليهما السلام) : إن فلانا ينسبك إلى أنك ضال مبتدع ، فقال له الإمام (عليهما السلام) : (ما رعيت حق مجالسة الرجل ، حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقى حيث أبلغتنى من أخى ما لست أعلمه ! . . واعلم أن من أكثر عيوب الناس شهد عليه الإكثار ، أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه) (۴) .

وكان من دعائه (عليه السلام) : (اللهم إنى أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق . .) (۵) .

---

(۱) معانى الأخبار ، للصدوق : ۱۹۱ .

(۲) نهج البلاغة ، ضبط صبحى الصالح : ۴۲۹ كتاب ۵۳ .

(۳) تحف العقول : ۱۷۶ – مؤسسة الأعلمى ط ۵ .

(۴) الاحتجاج ، للطبرسى ۱ – ۲ : ۳۱۵ – مؤسسة الأعلمى ط ۱۴۰۱ ه.

(۵) الصحيفة السجادية الجامعة : ۶۹ – مؤسسة الإمام المهدى (عج) – قم ط ۱ .

‹ صفحه ۹۳ ›

وهذا الموقف التربوى العجيب :

ليس الاقتداء وقفا على ميدان الخلق الفردى والاجتماعى ، بل له أفق واسع سعة آفاق الحياة ، فكم سيتعلم الحكاء والساسة من دروس صانعى التاريخ ومهندسى الفكر ! لننظر فى هذا الحدث - الذى قد يبدو صغيرا - فى تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) ، متطلعين إلى ما يعكسه من صورة القائد القدوة والإمام الأسوة ، وإلى ما يمكن أن نستلهم منه فى جوانب حياتنا ، فردية كانت ، أو اجتماعية :

قام أعرابى يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين أتقول أن الله واحد ؟

قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين

من تقسم القلب ؟ !

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (دعوه فإن الذى يريده الأعرابى هو الذى نريده من القوم !)

ثم قال (عليه السلام) : (يا أعرابى إن القول فى أن الله واحد على أربعة أقسام ، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل ، ووجهان منها يثبتان فيه . فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل : واحد ، يقصد به باب الاعداد ، فهذا ما لا يجوز ، لأن ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد ، أما ترى أنه كفر من قال : إنه ثالث ثلاثة ، وقول القائل : هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس ، فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه ، وجل ربنا وتعالى عن ذلك .

وأما الوجهان الذى يثبتان فيه : فقول القائل : هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربنا . وقول القائل : إنه عز وجل أحدى المعنى يعنى به أنه لا ينقسم

‹ صفحه ۹۴ ›

فى وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنا عز وجل) (۱) .

وكنظرة مقارنة ، كم يكون البون شاسعا بين ما فعله الإمام على (عليه السلام) مع الأعرابى ، مع ما فيه (عليه السلام) من تقسم القلب ، كما وصفه أصحابه ، نتيجة للفتنة التى عصفت بالمسلمين فى الجمل ، وبين ما فعله عمر بن الخطاب مع الأصبغ بن عسل حين سأله عن متشابه القرآن ، مع أن عمر كان يعيش مطمئنا فى المدينة ، نقل ابن حجر ، أنه قدم المدينة على عهد عمر بن الخطاب رجل يدعى الأصبغ بن عسل ، سأله عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وضربه بدرته حتى أدمى رأسه ، وأسقط عطاءه ، ونهى عن مجالسته - ثم - قرر نفيه إلى البصرة ، وكتب إلى عامله عليها ، أبو موسى الأشعرى : (أما بعد فإن الأصبغ تكلف ما كفى وضيع ما ولى ، فإذا جاء كتابى فلا تبايعوه ، وإن مرض فلا تعودوه ، وإن مات فلا تشهده) (۲) .

أهل البيت (عليهم السلام) الأسوة بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : أهل البيت (عليهم السلام) هم أحد الثقلين الذين أوصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبناء أمته بالتمسك بهما ، والسير على خطاهما : (إنى قد تركت فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله حبل متين ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) (۳) .

)

۱) كتاب الخصال ، للشيخ الصدوق : ۲ / باب الواحد طبع جماعة المدرسين - قم . ومعانى الأخبار : ۵

/ باب معنى الواحد .

(۲) الإصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ۲ : ۱۹۸ - دار إحياء التراث العربى ط ۱ عام

۱۳۲۸ ه.

(۳) بحار الأنوار ۲۳ : ۱۰۶ . كنز العمال ۱ : ۱۷۲ (وللحديث طرق مختلفة عن الفريقين) .

‹ صفحه ۹۵ ›

الخلاصة

إن العقيدة الإسلامية هى القاعدة المركزية فى التفكير الإسلامى ، التى تصوغ للإنسان المسلم نظرته التوحيدية للكون والحياة ، وتنتج له مفاهيم صالحة تعكس وجهة نظر الإسلام فى شتى المجالات ، كما تنتج له عواطف وأحاسيس خيرة .

فالعقيدة تمثل عنصر القوة ، وهى التى صنعت المعجزات وحققت الانتصارات الكبرى فى صدر الإسلام .

ولأجل النهوض بالإنسان المسلم لا بد من تذكيره بالمعطيات الحضارية التى منحتها العقيدة لمن سبقه ، وترسيخ قناعته بصوابيتها وصلاحيتها لجميع العصور .

ويمكننا إيجاز الدور الهام الذى قامت به العقيدة من أجل بناء الإنسان على جميع الأصعدة بما يلى :

١ - على الصعيد الفكرى :

اعتبرت الإنسان موجودا مكرما ، أما الخطيئة التى قد يقع فيها فهى أمر طارئ يمكن معالجته بالتوبة ، وبذلك أشعرت الإنسان بقدرته على الارتقاء ، ولم تؤيسه من رحمة الله وعفوه ، ثم أن العقيدة حررت الإنسان من الاستبداد السياسى للحكام الوضعيين الظالمين ، كما حررته من عادة تأليه البشر ، وأطلقت حريته ، ولكن ضبطتها بقيود الشرع حتى لا تؤدى إلى الفوضى ، كما ربطت الحرية

‹ صفحه ۹۶ ›

الإنسانية بالعبودية لله وحده ، والخضوع الواعى والطوعى لسلطته .

كما حررت الإنسان من شهوات نفسه ومن عبادة مظاهر الطبيعة من حوله ، ومن الأساطير والخرافات فى الاعتقاد والسلوك .

ومن خلال عملية تحرير الفكر ، قامت بعملية البناء ، فأعطت مكانة كبيرة للعقل واعترفت بدوره وفتحت أمامه آفاقا معرفية واسعة ، كما فتحت أمامه نافذة الغيب ، وأطلقته من أسر دائرة الحس الضيقة ، ووجهت طاقته الخلاقة للتأمل والاعتبار فى آيات الله الآفاقية والأنفسية ، وجعلت من تفكره هذا عبادة هى من أفضل العبادات .

ولم تقتصر على ذلك بل وجهت طاقة العقل لاكتشاف السنن التاريخية الحاكمة على الأمم والشعوب ، كما وجهت العقل للنظر فى حكمة التشريع لترصين قناعة المسلم بشريعته وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

من جهة أخرى دفعت العقيدة الإنسان إلى كسب العلم والمعرفة ، وربطت بين العلم والإيمان ، فكل تفكيك بينهما سوف يؤدى إلى عواقب وخيمة ، كما وجهت العقل للنظر المستقل والملاحظة الواعية واستنباط النتائج من مقدمات يقينية ، ودعته إلى عدم التقليد فى أصول الدين .

٢ - على الصعيد الاجتماعى :

قامت العقيدة بدور تغييرى كبير ، فبينما كان فكر الإنسان الجاهلى منصبا حول ذاته ومصالحها ، غدا بتفاعله مع إكسير العقيدة يضحى بالغالى والنفيس فى سبيل مبادئ دينه ومصالح مجتمعه .

وأزالت العقيدة التناقض القائم بين الدوافع الذاتية المتمثلة بحرص الإنسان على مصالحه وبين مصالح الجماعة من خلال إثارتها للشعور الاجتماعى للفرد نحو الآخرين .

‹ صفحه ۹۷ ›

وقد نمت العقيدة هذا الشعور بأساليب عدة منها : إيقاظ حس الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين ، وتنمية روح التضحية والإيثار لدى الفرد المسلم ، ودفعه للانصباب فى قالب الجماعة .

من جهة أخرى ، قامت العقيدة بتغيير الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، من روابط تقوم على أساس العصبية للقرابة ، أو على أساس اللون أو المال أو الجنس ، إلى روابط أسمى تقوم على أسس معنوية هى التقوى والفضيلة والأخاء الإنسانى .

ونقلت العقيدة الأفراد من حالة التناقض والصراع إلى حالة التعارف والتعاون ، فشكلوا أمة واحدة مرهوبة الجانب بعد أن كانوا قبائل وجماعات متفرقة ومتناحرة ، لا تقيم لهم الأمم وزنا .

أضف إلى ذلك أن العقيدة الإسلامية قد قامت بتغيير العادات والتقاليد الجاهلية التى تسئ لكرامة الإنسان وتسبب له العنت والمشقة .

٣ – على الصعيد النفسى :

أسهمت العقيدة فى خلق طمأنينة وأمان للإنسان ، مهما كانت عواصف الأحداث من حوله .

وقد اتبعت وسائل عديدة لتخفيف المصائب التى تواجه الإنسان على حين غرة ، ومن تلك الوسائل : بيان طبيعة الدنيا ، وأنها دار محن واختبار ، مليئة بتيارات المصائب التى تهب على الإنسان كريح السموم ، وعليه فمن المستحيل على الإنسان أن يطلب الراحة والسكينة فيها . وعليه أن يضع نصب عينه النجاح فى هذا الامتحان الإلهى فى الدنيا التى هى دار تكليف .

ولقد خففت العقيدة من وطأة المصائب عبر التأكيد على أنها تستتبع أجرا وثوابا ، كما وجهت نظر الإنسان للمصيبة العظمى وهى المصيبة فى الدين ، الأمر الذى يخفف من وقع المصائب الدنيوية الصغيرة .

‹ صفحه ۹۸ ›

من جانب آخر ، حررت العقيدة النفوس من المخاوف التى تشل نشاط الإنسان وتكبت طاقته وتجعله نهبا لعوامل القلق والحيرة كما شجعت العقيدة الإنسان إلى معرفة نفسه ، فبدون هذه المعرفة للنفس يصبح من الصعوبة بمكان السيطرة عليها وكبح جماحها ، ثم بدون معرفة النفس لا يمكن معرفة الله تعالى حق معرفته .

ومن خلال البحث استنتجنا بأن الأمراض النفسية الخطيرة كالعصبية والشح والأثرة إذا لم تعالج فإنها ستؤدى إلى عواقب اجتماعية وسياسية خطيرة ، كتلك الفتنة التى عصفت بالمسلمين فى السقيفة ، التى بين الإمام على (عليه السلام) جذورها النفسية .

۴ – على الصعيد الأخلاقى :

قامت العقيدة بدور خلاق فى بناء منظومة الأخلاق للفرد المسلم ، وفق أسس دينية تستتبع ثوابا أو عقابا ، وليس مجرد توصيات إرشادية لا تتضمن المسؤولية ، على العكس من القوانين الوضعية ، التى أزالت شعور رقابة الله والمسؤولية أمامه من نفس الفرد ، وبذلك نسخت ركيزة الأخلاق ، فالأخلاق بدون الإيمان تفقد ضمانات الالتزام بها .

والملاحظ أن العقيدة اتبعت أساليب عدة لدفع الأفراد للتحلى بالأخلاق الحسنة وتجنب الأخلاق السيئة منها :

إبراز المعطيات الأخروية وأيضا الدنيوية المترتبة على الأخلاق الحسنة أو السيئة .

كما اتبعت أسلوب " الأسوة الحسنة " لتربط الأفراد برموز العقيدة ومرشديها بغية التأثر بمحاسن أخلاقهم والتأسى بسيرتهم .

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/ "بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹